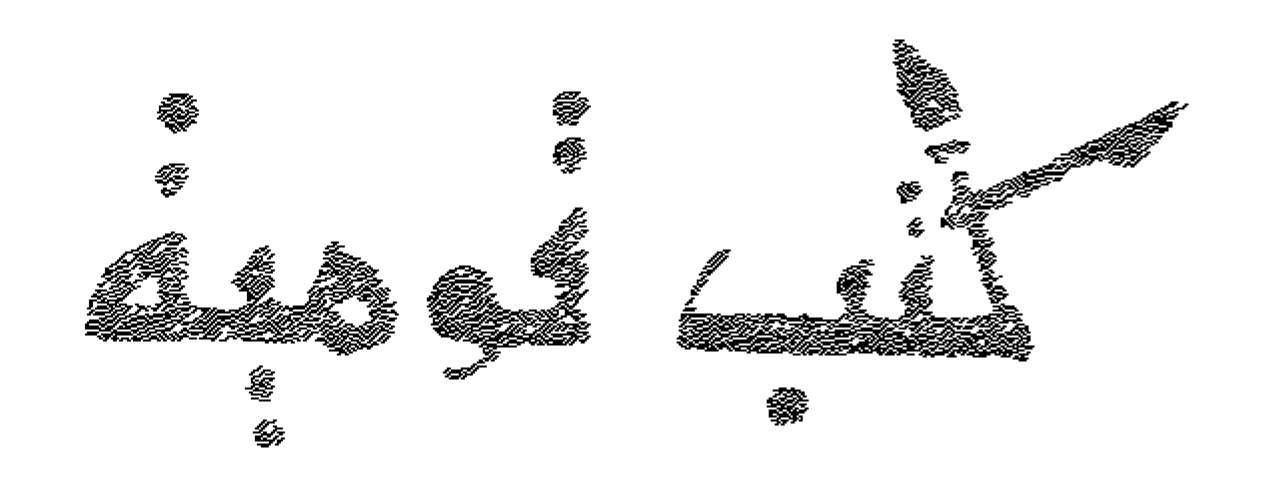
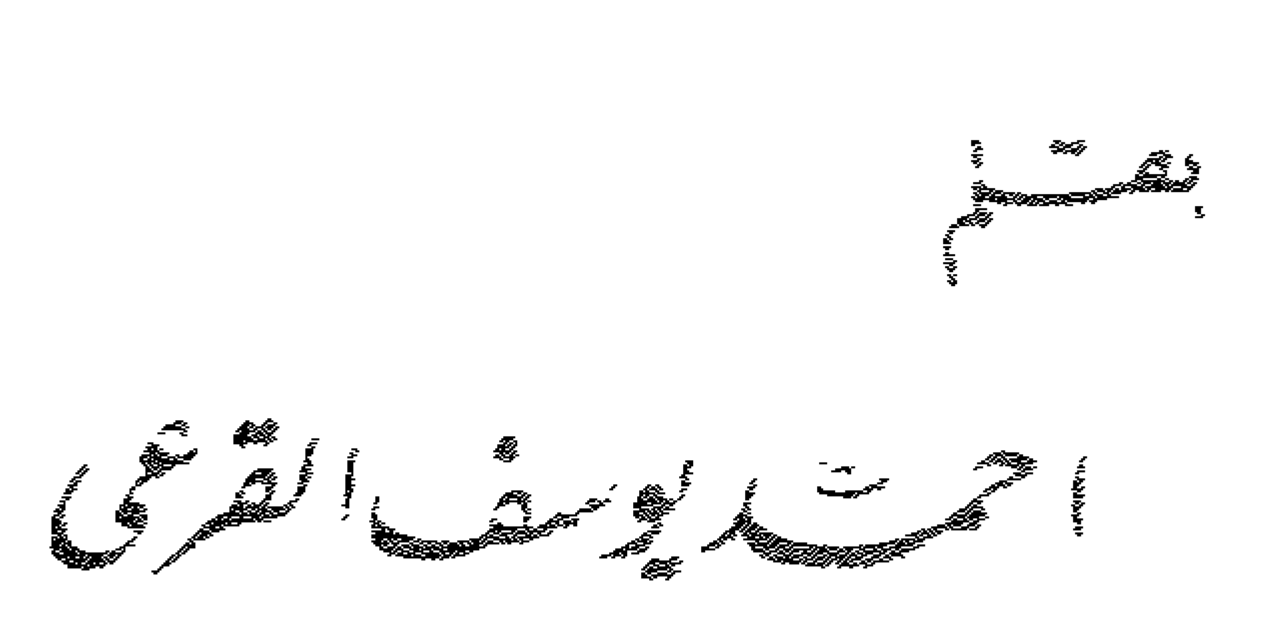


نحو قوة عربية ذاتية



كتب قومية

نحو قوة عربية ذاتية

بقلم

احمد يوسف القرعي

إهـــداء

الى السيد الرئيس جمال عبد الناصر

صانع القوة العربية الذاتية المعاصرة التى تتمثل وتتجسد فى الجمهورية العربية المتحدة ، وهى تسعى بكل جهدها وكامل طاقاتها الى ان تكون المثل الكامل لما يجب أن يكون عليه الوطن العربى الحر والمواطن العربى الحر .

أحمد يوسف السيد احمد القرعى
بكالوريوس العلوم السياسية
جامعة القاهرة

من أقوال الرئيس جمال عبد الناصر
فى .. القوة الذاتية للامة العربية

« القوة الذاتية فى تقديرى هى : الحرية الشاملة .. حرية الارض العربية وحرية الانسان العربى صاحب هذه الارض »

اننى أومن ايمانا لا يتطرق اليه أى شك أن المجابهة الحقيقية لكل ما يعترض الامة العربية من مشكلات وأخطار انما يتمثل فى ضرورة القوة الذاتية لهذه الامة العربية » .

« ان كل قوة ذاتية يحصل عليها أى بلد عربى .. انما هى رصيد يضاف الى الذخيرة الكبرى لأمتنا العظيمة ويزيد من قدرتها على تحقيق النصر أمام جميع أنواع التحديات الناجمة من مجابهة المشكلات والاخطار »

« من ناحية اسرائيل .. نحن نؤمن أن الشر الذى وضع فى قلب العالم العربى لابد أن يقلع .. وان الحق الذى اغتصب من الكل العربى لابد أن يعود الى أصحابه .. ولكن ذلك يتطلب قوة عربية ذاتية شاملة .. لهذا وضعت مشكلة اسرائيل فى ختام هذه العوامل من سياستنا فى علاقاتها بالاطراف غير العربية ذلك أن هذه المشكلة تتصل اتصالا وثيقا بأوضاعنا الداخلية .. لانها كما قلت ترتبط ارتباطا لا انفصال فيه مع قوتنا الذاتية الشاملة .. واذا ما ذكرنا اننا لا نواجه اسرائيل وحدها وانما نواجه معها من قوى الاستعمار ما لابد من حسابه .. اذا ما ذكرنا ذلك أدركنا حدود القوة الذاتية الشاملة اللازمة لنا لتصحيح جريمة سنة ١٩٤٨ ... »

جمال عبد الناصر

مقدمة

العرب أمة واحدة ..

حقيقة صادقة لم يكن لها قط بريق المعدن الكاذب ولا رنين العملة الزائفة .

حقيقة مؤكدة لا تنقضها دعوى مدع فى الشرق ولا فى الغرب..

ويقول الرئيس جمال عبد الناصر : .. ولسنا فى حاجة الى أن نعد الاسانيد والحجج التى تجعل من هذه الوحدة غاية حتميــة لابد أن يصل اليها كفاحنا من أجل القوة..وانما يعنينا أن نؤكد حقيقتين حاسمتين :

أولاهما : أن الامة العربية برغم الحدود المصطنعة عاشت تاريخا واحدا ..

والاخرى : أن الامة العربية برغم اختلاف الغزاة احتفظت بلغــة واحدة .

واذا كان تاريخ أية أمة هو صانع ضميرها .. فان لغة أية أمة هى صانعة فكرها .

فاذا كانت للعرب وحدة الضمير ووحدة الفــكر .. فمعنى ذلك بوضوح هو أن العرب أمة واحدة .

ولقد عاشت الامة العربية تاريخها الطويل بين مد وجذر .حيث تعرضت كثيرا للمحنة والاختبار .. ودخلت مع قوميــات أخرى فى حروب ومعارك مريرة وتقلب على الامة العربية الاستعمــــار ــ بكل أشكاله وألوانه ومظاهره وطرقه وأساليبه .. منذ القرن التاســـع الميلادى .. من سيطرة الجند الترك ثم الغزو الصليبى والمغولى ثم الاستبداد العثمانى وأخيرا الاستعمار الغربى والاستعمار الصهيونى

وأمام التيارات الغازية والمخاطر المتعاقبة والحركات المعـــادية للعروبة ..

وأمام المخططات الاستعمارية والنعرات الطائفية والمــــذهبية والاقليمية والرجعية ..

وأمام الخطوط والفواصل الوهمية والحواجز والكيانات السياسية المصطنعة في الوطن العربي ..

أمام كل قوى التحديات التي تعترض طريق الامة العربية . قبل العرب التحدي .. وخاض الشعب العربي كفاحا مريرا داميــا في معركة النضال العربي التحرري من أجل تحرير الارض العربيــــه وتحرير الانسان العربي ..

وتتابعت الانتفاضات والحركات والثورات التحررية التقدميــه من الخليج الى المحيط .. بحيث أصبح تاريخ العــــرب الحديث على اختلاف مواضع الاحداث فيه رواية لمعركة موحدة للعرب ـ معركـة المصير العربي ، وجزءا متصلا بالتاريخ القومي للعرب منــذ نهضتهم الاولى .. وذلك كله من أجل تحقيق وتوفير القوة الذاتية العربيـــة الشاملة ..

والقوة الذاتية ـ على حد تعريف الرئيس جمال عبد الناصر ـ هي الحرية الشاملة .. حرية الارض العربية .. وحرية الانسان العربي صاحب هذه الارض ..

بمعنى أن القوة الذاتية لا تتحقق الا بالحرية الشاملة .. حريه الوطن العربي وحرية المواطن العربي سياسيا واقتصاديا وانسانيا .

فالقوة الذاتية لأي بلد عربي .. لا تتحقق بالاستقلال الزائف بخروج آخر جندي أجنبي .. وبالمعاهدات والاتفاقيات اللامتكافئة أو المشروطة بشروط تمس حرية الوطن أو المواطن ..

والقوة الذاتية .. لا تعرف البرلمانات الزائفة والانتخـــابات المطبوخة والشعارات الجوفاء ..

والقوة الذاتية ·· لا تعرف بالحرية السياسية دون الحرية الاجتماعية ··

والقوة الذاتية ·· لا تبنى الا على أساس الكفاية فى الانتاج والعدالة فى التوزيع ··

والقوة الذاتية ·· لا تعمل لحساب البيت الابيض··أو لحساب الكرملين ــ وانما تعمل لحساب جماهير الشعب العربى ··

والقوة الذاتية ·· لا تعرف الاستكانة والخضوع لاسوار مناطق النفوذ ··

والقوة الذاتية ·· لا تنحاز شرقا ولا غربا··الى أى من المعسكرين المتنابذين المتصارعين ·· وانما تجد فى الحياد الايجابى وعدم الانحياز مجالا للنمو والنشوء والارتقاء ··

وخلاصة القول أن القوة الذاتية للامة العربية ــ وهى تعنى حرية الامة العربية الشاملة ــ انما تنبع وتنبثق من أعماق هذه الامه على وعى وادراك لحقيقة هذه القوة الذاتية وأهدافها ومراميها وان جماع أمرها ومردها للارادة العربية الخالصة ··

والقوة الذاتية العربية من أولى ضرورات ومتطلبات معركة النضال العربى التحررى الهادفة لتحرير الوطن والمواطن العربى سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وانسانيا واقامة المجتمع الاشتراكى الديمقراطى التعاونى ··

أمام جميع أنواع قوى التحديات التى تجابه الامة العربية

يؤكد ذلك الرئيس جمال عبد الناصر بقوله :

اننى أومن ايمانا لا يتطرق اليه أى شك أن المجابهة الحقيقية لكل ما يعترض الامة العربية من مشكلات وأخطار ــ انما يتمثل فى ضرورة توفير القوة الذاتية لهذه الامة العربية ··

وتاريخ كفاحنا ونضالنا العربى ــ القديم والحديث ــ خير شاهد على كلام رائد القومية العربية وصانع القوة الذاتية المعاصرة المتمثلة والمتجسدة فى الجمهورية العربية المتحدة ·

وفى تاريخنا القديم نجد أن . « المجتمع العربى فى ظل الحكم الاسلامى تعرض لاخطار متعددة ٠٠ لكنه تمكن من التغلب عليها ٠٠ وطوال الفترة التاريخية التى استمرت من حكومة النبى صلوات الله عليه حتى الدولة العباسية كان يمتلك القوة الذاتية والدافعة التى تمنحه قوة المقاومة والدفاع ضد أخطار الغزو والتفكك والتمرد ٠٠ ولكنه فى أواخر أيام الدولة العباسية أخذت هذه القوة الذاتية تجمد وتتضاءل وتتوقف عوامل الحركة فيه ٠٠ مما يصبح معه القول انه يدخل فى مرحلة الركود الذى يتبعه فعلا الانهيار ٠٠ وهذا شىء طبيعى اذ ظهرت آثار كل العوامل السيئة التى جعلت جسم الدولة وتركيب المجتمع نخرا ٠٠ مضافا اليها نهوض أقوام وجماعات عدة من الامم المجاورة الى مرتبة النضج والقوة مع طموحها الدائب للوصول الى أماكن الخصب والنماء والمناخ الدافىء فى المنطقة العربية (١) ٠

وتاريخنا العربى الحديث والواقع المعاصر المزيف للوطن العربى خير شاهد وأوعظ درس لنا ونحن نخوض معركة المصير العربى الواحد ٠٠ ان أولى ضرورات ومتطلبات معركة المصير العربى هى بناء وتوافر القوة العربية الذاتية الشاملة القادرة على العمل الايجابى من محو تلك الخطوط والحواجز الوهمية التى تفتت الوطن العربى ٠٠ الى تبديل الحياة السائدة فى أغلب البلاد العربية التى ما هى الا نتاج رجعى اقطاعى قبلى احتكارى استعمارى ٠٠ حيث تعاونت وتآزرت قوى هذه التحديات فى تشكيل وتوجيه الحياة فى هذه البلاد العربية وفق قوالب صماء جمدت ورسخت على تفكير بعض الحكومات الرجعية العملية ٠٠ لتخدم مصالح الاستعمار وتساعد على تركيز قواه وسيطرة نفوذه داخل الوطن العربى وتنفيذ مخططاته الاستعمارية : من فرنسة الجزائر الى تهويد فلسطين وخلق دولة اسرائيل الحثالة من البشر الى تأييد سلخ لواء الاسكندرونة من سورية وضمه الى تركيا ، الى اثارة النعرات الطائفية والمذهبية والرجعية والانفصالية ٠٠ الى استغلال واحتكار ثروات ومقدرات الوطن العربى وبخاصة الثروة البترولية التى تئن تحت وطأة الاحتكار ـ الامبريالى الاستعمارى ٠٠ الخ ٠٠ الخ وكان دوام هذه الحال من المحال ٠٠

---

(١) « دراسات فى المجتمع العربى » للاساتذة الدكتور بطرس غالى والدكتور خيرى عيسى والدكتور عبد الملك عودة ص ٦٥ ٠

فقد انبثقت ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ٠٠ وكانت بمثابة نقطه الانطلاق الى بناء القوة الذاتية المعاصرة للامة العربية المتمثلة والمتجسدة الان في الجمهورية العربية المتحدة وذلك بحكم ما تمثله من الطاقات الثورية والطاقات النضالية المادية والمعنوية ٠٠ والتي تقوم بجهد بطولى من أجل اعادة بناء الوطن العربى الجديد الحر والمواطن العربى الحر ٠٠ في ظل مجتمع اشتراكى ديمقراطى تعاونى يقوم على دعامتين من وفرة الانتاج وعدالة التوزيع ٠

كما ان الجمهورية العربية المتحدة هى طليعة النضال العربى التحررى وقاعدته والحصن والقلعة الكبرى للقومية العربية لمساندة استقلال وسلامة وأمن كل بلد عربى ٠٠

وبحثنا هذا ٠٠ دورية اكتشاف لطبيعة التحديات التى تجابه وتعرقل الامة العربية فى معركة تحقيق الذات ٠٠ ثم تسليط أشعة الضوء على مراكز واحتمالات تجمع القوة الذاتية المعاصرة القادرة على الصمود فى معركة المصير العربى وتحقيق النصر أمام كل قوى التحديات المعادية والمعرقلة لأمتنا العربية ٠

ففى المبحث الاول نستعرض قوى التحديات المعادية والمعرقله للامة العربية ٠٠ والتى تجابه الامة العربية وهى تسعى الى بناء وتوفير قوتها الذاتية المعاصرة ٠

وفى المبحث الثانى والثالث نستعرض دور كل من الجمهورية العربية المتحدة والبترول العربى ـ كاحتمالين للقوة الذاتية ـ فى توفير القوة العربية الذاتية الشاملة للامة العربية ٠

المبحث الاول

قوى التحــدى

« لقد وصلنا فجأة الى مرحلة من مراحل تاريخنا القومى يلزمنا فيها الجرى السريع .. اذ أن المشى لا يكفيه البتة .. وفى الجـرى نتعثر ونقع ولكننا نحاول باستمرار أن ننهض مرة ثانية.. ان طريقنا يشمل المخاطر والمغامرات . ولكن ليس هنـــاك خيار .. فنحن نعيش فى ثورة » .

جواهر لال نهرو

« وكم من مرة تأرجحت سفينة الثورة فى ذلك اليم المتلاطم الامواج .. وكان الكفاح طويلا مريرا .. ولكن المثابرة لم تذهب سدى فظلت السفينة ثابتة عاتية تتكسر الامواج على دروعها القوية الواحدة تلو الاخرى ومضت السفينة تشق طريقها قدما » .

جمال عبد الناصر

الحديث عن القوة العربيه الذاتية يتطلب منا ـ باديء ذي بدء ـ أن نقوم بدوريه اكتشاف لطبيعة القوى العاملة في ساحة المعركه العربية والقاء نظرة سريعة فاحصة لقوى التحديات المعادية التي تعرقل الامة العربية في طريقها نحو بناء القوة العربية الذاتية الشاملة ٠

اذ انه منذ أن انطلقت الامه العربيه لتخوض معركة النضال العربي التحرري من اجل الحريه الشامله، حريه الوطن العربي وحريه المواطن العربي تهادنت وتصالحت وتآزرت وتضافرت قوى التحديات المعاديه ٠٠ الخارجيه والداخلية ٠٠ على اختلاف مذاهبها ومطامعها ومشاربها ، لتحول دون تحقيق وبناء القوه الذاتيه الشامله للامه العربية ٠٠ ولتحطيم الطليعة الثورية التحررية التي ما هي الا العدو المشترك لهذه التحديات جميعها ٠

وقوى التحدى المعاديه كثيرة متعدده وفي أشكال وأقنعة متلونة متغيرة كالحرباء الداهية ٠٠ وهي على اختلاف مذاهبها ومطامعها ومشاربها لها هدف مشترك ومصالح مشتركه تتلخص في وأد الطلائع الثورية ٠٠

وفي هذا البحث نستعرض أهم قوى التحديات الخارجية ٠٠ مثل الصراع العالمي ٠٠ والاستعمار ٠٠ واسرائيل ٠٠ وكذلك التحديات الداخلية مثل الرجعية والشيوعية المحلية والتخلف الاقتصادي والاجتماعي ٠

وثمة كلمة تقول ٠٠ « عدو داخل الدار أخطر من عدو خارج الدار » ولعل في الحركة الرجعية الانفصالية الاخيرة في سورية خير شاهد على صدق هذه الكلمة ٠

١ ـ الصراع العالمي

منذ أن وضعت الحرب العالمية أوزارها ٠٠ ظهرت على الصعيد الدولي بوادر الانقسام والصراع بين حلفاء الحرب بعد تخلصهم من العدو المشترك حيث انقسم العالم معسكرين متنافرين متصارعين٠

المعسكر الغربي الذى ما هو الا مثلث استعماري أطرافه الولايات المتحدة الامريكية وانجلترا وفرنسا ٠٠ ويدين بالنظام الرأسمالي ويدعى التحلي بديمقراطية خيالية هي الديمقراطية الغربية ٠٠ وبحرية زائفة هي حرية العالم الحر ٠٠

المعسكر الشرقي ويتزعمه الاتحاد السوفيتي والصين الشعبيه مع سائر الدول الاشتراكية التي تدور في فلكهما ويدين بالمبدأ الشيوعي وتقوم سياسته الاستعمارية على التوسع المنبسط وتوسيع حدوده لا على شكل مستعمرات وانما على شكل ضم وابتلاع الممتلكات والغنائم والحاقها كأجزاء لا تتجزأ من جمهوريات الاتحاد السوفيتي

وبانتفاء العلاقات المتبادلة بين المعسكرين الشرقي والغربي طبعت عده العلاقات بطابع الحرب الباردة التي ما هي الا : سياسه التوتر حتى شفا الحرب « على حد قول دالاس » .

وكلما تعمقنا في تحليل جوهر الصراع العالمي الدائر بين المعسكرين الغربي والشرقي اليوم والعوامل والبواعث وحقيقة النوايا التي تحدد سياسة كل منهما على الصعيد الدولي تكشفت لنا الحقيقه الواقعه .. وهي أن الصراع العالمي صراع مصلحي نفعي متستر تحتستار صراع دبلوماسي ايديولوجي عقائدي .. يرتدي كل معسكر مسوح الرهبان ويدعي كل معسكر الدعة والاخلاص والوعظ والارشاد والدعوة الى قيم ومبادىء ومفاهيم معينة لا يلبث كل منهما أن يتنكر لها من أجل غريزة الاستيلاء وشهوة السيطرة .

فالعداوة ؟ اذن افتراض أساسي في بناء سياسة المعسكرين .. واحتمال الحرب : افتراض أساس آخر .. وازاء هذا .. كيف يمكننا أن نتصور سياسة دولية قوامها التحفز والتهديد والاستعداد لمواجهة أخطار محتملة أو قائمة طبقا لمزاعم الكتلتين ؟ واذ ذاك تصبح جميع المشكلات المعاصرة مجرد محطات أو مناسبات تتخذ لاختبار قدرة المعسكر المعادي معنويا أو قنوات تتسرب منها مشروعات وأساليب تدعي استهداف السلم على حين أن واقعها الاستعداد لمواجهة الحرب

وهكذا نعيش في عالم كثرت فيه الاحاديث والخطب عن الانسانية والأخوة العالمية وفي الوقت نفسه ومن المصادر نفسها تندفع الاتهامات والتهديدات والسياسات التي تبنى على أساس من التحفز والتفكير في صراع مسلح .. عالم تموت فيه الملايين من سوء التغذية والامراض المهلكة .. على حين تنفق الدول – حتى الصغرى منها – آلاف الملايين من الثروات على التسلح وابتكار الاسلحة المدمرة .. عالم مهدد بالمجاعة أمام الزيادة الهائلة السريعة في عدد سكانه ويسعى جاهدا للتفكير في تنمية الموارد الغذائية واستغلال الثروات واهلاكها

بسرع الطرق فى الحرب المستقبلة (١) .

وفى ظل هذا الصراع العالمى المصلحى النفعى . وفى ظل مساعر الحرب الباردة ـ مثل اسباق الجبار فى ميدان التسلح والتجارب الذرية والاحلاف العسكرية والمناورات والمؤامرات داخل اروقة الامم المتحدة الخ .. الخ ـ تزداد حدة التوتر الدولى ويقف العالم على فوهه بركان بين موجات التفاؤل والتشاؤم .. بين تباشير السلام ونذر الحرب .

ومن ثم فمن العبث أن نتحدث عن تحقيق وبناء القوة الذاتيه للأمة العربية أو أية دولةعربية الا فىظل ربوع السلام وعدمالانحياز والتبعية الى أية كتلة من الكتل المتصارعة وخارج مناطق النفوذ حيث كل معسكر يحاول أن يزج بنا فى خضم هذا الصراع . لكى نكون ـ لا أكثر ولا أقل وقودا لهذا الصراع !

ومن هنا فان الحياد الايجابى وعدم الانحياز .. مبدأ آمنا به وعقيدة اعتنقناها وتعبير عن واقع سياسى تاريخى وتعبير عن واقع اجتماعى تقدمى .

وفى ظل الحياد الايجابى وعدم الانحياز نحن نقوى ذاتيا كل يوم وندعم قوتنا الذاتية التى تنبع وتنبثق من أعماقنا عن وعى وادراك وبصيرة للحرية الشاملة للارض العربية وللانسان العربى .. يقول الرئيس :

« لقد كان ايماننا الذى أكدته التجارب أن الشعوب لا تستطيع أن تبنى مستقبلها بالحياة تحت أقدام الدول الكبرى أو بالاستكانة والخضوع لاسوار مناطق النفوذ .. ولقد وجدنا عقيدة الحياد الايجابى وعدمالانحياز طريقنا الى طلب السلام بعد معارك مريرةضد الاستعمار بأقنعته المختلفة ابتداء من الاحتلال السافر الى معاهدات التحالف الثنائية غير المتكافئة الى الاحلاف العسكرية ومناطق النفوذ»

ومن هنا .. فان من ويلات الحرب التى فى خلال جيل واحد جلبت على الانسانية مرتين أحزانا يعجز عنها الوصف .. ومن ارادات شعبية عميقة على وعى وادراك فى حق تقرير مصيرها بنفسها ومن آلام الشعوب ونضالها ضد التبعية والسيطرة الاجنبية ومناطق النفوذ ومن أجل بناء بشرية متحررة لتنمية الاستقلال الذاتى لكل دولة

---

(١) من مقال الاستاذ الدكتور يحيى عويس مجلة العلوم السياسية يوليو ـ ١٩٦٠ .

وابعاد فرص الاحتكاك والتصادم بين الكتلتين المتصارعتين ـ من ذلك كله نبعت وانبعثت جذور مبدأ عدم الانحياز ٠

ولقد كان للجمهورية العربية المتحدة دور كبير فى تدعيم سياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز حتى لقد أصبحت هذه السياسة مثلا يحتذى آمن به كثير من الدول الكبيرة والصغيرة وأقامت سياستها الخارجية على ضوء عدم الانحياز الى أية كتلة من الكتل المتصارعة ٠٠ ولقد كان آخر انتصارات الدول غير المنحازة بعدعقد مؤتمر عدم الانحياز فى بلجراد عام ١٩٦١ هو اشتراك بعض الدول غير المنحازة ومنها الجمهورية العربية المتحدة فى مؤتمر نزع السلاح ٠٠

٢ ـ الاستعمار

لا نعدو الحقيقة حينما نقول ان الامة العربية عرفت وقاست جميع أشكال ومظاهر ووسائل وأساليب الاستعمار ٠٠ الاستعمار القديم والحديث والاستعمار المباشر وغير المباشر ٠٠ والاستعمار السافر والمقنع ٠٠ والاستعمار السياسى والاستراتيجى والاقتصادى والتبشيرى والاستبطانى ٠٠ الخ ٠

والاستعمار كظاهرة أو آفة انسانية يسلب حق الانسان فى الحياة الحرة الكريمة وينهب ويستغل ويحتكر ثروات ومقدرات الشعوب ويستوطن أقاليم ليست ملكه ٠٠ ويطرد ويشرد ويضطهد ملايين من الشعوب أصحاب الارض والديار ٠٠ ويبث النعرات الطائفية والمذهبية والاقليمية والانفصالية وذلك لتفتيت الوحدة الوطنية القومية وتمزيقها أشلاء ٠

واستعراض عجالة تاريخية من معركة النضال العربى التحررى ضد الاستعمار الغربى فى الوطن العربى ٠٠ تلقى ضوءا نستطيع على هدى أشعته معرفة حقيقة نوايا الاستعمار وأقنعته التى تتلون وتتشكل وفقا للظروف كحرباء داهية ووعوده الخلابة التى تشبه السراب أن رآها الظمآن ظنها ماء سائغا للشاربين ولكنه يفاجأ بالواقع الأليم وبالنكبة التى مابعدها نكبة ٠

فالاستعمار الغربى ما هو الا مثلث استعمارى أطرافه أمريكا وبريطانيا وفرنسا .. يدين بالنظام الرأسمالى ويدعى التحلى بديمقراطية خيالية هى الديمقراطية الغربية وبحرية زائفة هى حرية العالم الحر .

ومن الناحية التاريخيه ساد علاقاتنا مع الغرب جو عدائى تمثل فى انتفاضات وثورات الشعب العربى واستمرار كفاحه ونضاله ضد الاستعمار السياسى والاقتصادى . لان الاستعمار هو الشكل الذى تعرف به الحضارة الغربية . وعن نظرة الى الغرب الى الوطن العربى كمجموعة من مواقع استراتيجية وثروات اقتصادية ومناطق نفوذ هامة ــ قد انبثقت سياسة الغرب نحو الوطن العربى عبر العصور.. هذه السياسة تجلت بعد الحرب العالمية الاولى باشتداد التكالب والتآمر والاستماتة فى ضرب حركة النضال القومى حفظا على مصالحه الاستعمارية أمام موجة المد التحررى المتعاظم من جهة وتنفيذ المخططاته العالمية فى معركة الصراع العالمى من جهة أخرى (١) .

يؤيد هذا .. الواقع المزيف للوطن العربى بعد الحرب العالميه الاولى وتلك الخطوط والفواصل الوهمية والحواجز والكيانات المصطنعة التى ما أنزل الله بها من سلطان وتلك الحياة السائدة التى ما هى الا نتاج استعمارى اقطاعى رجعى حيث تحكمت قوى هذا الثالوث البغيض فى تشكيل الحياة وفق مصالح الاستعمار وعملائه لكى تخدم بقاء هذا الاستعمار وتساعد على تركيز قواه والتحكم والسيطرة على مقدرات وثروات الشعوب العربية وتنفيذ مخططاته الاستعمارية من فرنسا ضد الجزائر ، الى تهديد فلسطين ، الى سلخ لواء الاسكندرونة ، الى اثارة النعرات الطائفية والمذهبية والرجعية والانفصالية فى الوطن العربى .

وبعد الحرب العالمية الثانية تجلت سياسة الاستعمار فى الوطن العربى بخلق دولة اسرائيل لتكون رأس جسر وقاعدة له يدبر منها

---

(١) الحياد الايجابى ومعركتنا القومية من منشورات حركة القوميين العرب بلبنان .

مؤامراته ومخططاته ضد حركة التحرر العربى المتعاظمة والتى بدأت تهدده بالزوال ٠

وسعى الاستعمار أيضا الى اقامة القواعد العسكرية وتكوين الاحلاف والمواثيق الدفاعية فى الوطن العربى ٠٠ وفرض المعونات المشروطة ٠٠ واستعمال الضغط الاقتصادى وذلك كله للزج بالوطن العربى فى دوامة الصراع العالمى ليكون وقودا لهذا الصراع المصلحى

وفى عام ١٩٥٦ تكشفت النوايا الاستعمارية على حقيقتها بالعدوان الثلاثى على مصر الذى لم يكن الدافع الاول له هو تأميم شركة قناة السويس فحسب ، بل طعن القومية العربية فى حصنها ومحرابها الاكبر والقضاء على مركز الاشعاع العربى وطليعة النضال العربى التحررى فى القاهرة ٠

وفشل العدوان الثلاثى ٠٠ وكان رد الفعل المباشر هو اعلان مبدأ ايزنهاور ليحقق الدوافع التى عجز المعتدون عن تحقيقها وفى الوقت نفسه كان مبدأ نتيجة لتطور سياسة الامبريالية الامريكية التوسعية

وفشل أيضا المشروع الاستعمارى الامريكى حيث رفضه العرب الاحرار وتمثلوا فيه أبشع نيات التآمر والعدوان على القومية العربية ٠

وأراد الاستعمار ــ وما زال يريد ــ عزل مصر عن العالم العربى يبث النعرات الطائفية والانفصالية وباقامة الاحلاف مثل حلف بغداد أو فكرة مشروع دالاس عام ١٩٥٧ باقامة حلف اسلامى مقدس يتربع على عرشه الملك الرجعى والعميل الاستعمارى الملك سعود وذلك ضد الشيوعية تاركا الاستعمار الغربى ينهب ثروات ومقدرات الوطن العربى وخاصة الثروة البترولية ٠

وبرغم ضربات القومية العربية المتتالية للاستعمار مثل قيام الجمهورية العربية المتحدة التى كان قيامها بمثابة زلزال فى المنطقة حيث اهتزت فى أعقابه العروش الرجعية مثل العرش السعودى ٠٠ والعرش الاردنى واختفى العرش العراقى عندما قامت ثورة « ١٤ تموز ١٩٥٨ » وكان آخر انتصارات القومية العربية هو اعلان القوانين

الاشتراكية فى يوليو ١٩٦١ الخ ـ أقول برغم ضربات القومية العربيه المتتالية للاستعمار بجانب موجة المد التحررى التقدمى فان الاستعمار مازال يتسلل الى صفوفنا ويلجأ الى أساليب التخفى والالتواء ويغير أقنعته كلما مزقت مقاومتنا العنيفة قناعه وفضحته .

ولقد كان فشل الانقلاب الاستعمارى الرجعى الاخير فى لبنان دليلا على أهداف ونوايا النشاط البريطانى الاخير فى الشرق الاوسط من هذه التحركات العسكرية الى هذه المناورات والمؤامرات والدعايات والمخططات الاستعمارية والرجعية .

٣ ـ اسرائيل

ماذا حدث عام ١٩٤٨ ؟

وما حقيقة ما حدث ؟

وهل كان حدثا مفاجئا تمخضت عنه بعض الظروف السياسيه السطحية الطارئة ، أو كان ما حدث نتيجة عمل طويل واعداد متواصل مدروس ونتيجة مناورات ومؤامرات ومخططات استعمارية ـ تلاقت أهدافها ومصالحها مع أهداف ومصالح الصهيونية العالمية لوأد الطاقات والطلائع الثورية النامية بعد الحرب العالمية الثانية واقامة دولة فى الوطن العربى لحثالة من البشر غرباء من المثل والمبادىء والقيم والمفاهيم التى يعتز بها بنو البشر وتشريد وطرد شعب من أرضه ودياره ، أو كان ما حدث عام ١٩٤٨ نتيجة الواقع والوجود العربى حين ذاك الواقع والوجود العربى السطحى المتخلف والاوضاع العربية البالية التى تتجسد فى هذا الضعف والتفسخ والهوان الذى صارت اليه حال الامة العربية نتيجة لتقاعسنا عن تبديل أوضاع الداخلية البالية ؟

ليس هنا مجال سرد حقيقة ما حدث وأسباب ما حدث عام ١٩٤٨ تفصيلا واجمالا .. فان هذا حمل تنوء به المراجع الكبيرة ، ولكننا هنا نسلط خيوطا من الضوء على المسرح العربى قبل الحرب العالمية الثانية .. حيث نهتدى على أشعة هذا الضوء الى حقيقة التوقيت

الزمنى الذى كان الحافز الحقيقى للاستعمار على الاسراع فى اقامة اسرائيل .

قبل الحرب العالمية الثانية .. كانت الاندفاعات الوطنية فى العالم العربى قد ألقت سلاحها قبل نهاية المعركة وتهادنت مع الاستعمار وتصالحت معه ولم تكن معاهدة ١٩٣٦ فى مصر الا مثالا لهذه المهادنات والمصالحات التى استسلمت اليها اندفاعات وطنية طالت عليها المعركة من ناحية وأغرتها مغانم الحكم من ناحية أخرى ثم جاءت الحرب العالمية الثانية بكل ما تجىء به الحروب من مسببات التنبه وأدرك الاستعمار ان طاقة ثورية عربية تتجمع وانه بعد انتهاء الحرب سوف تجد هذه الطاقات مجالا لاحداث تغييرات كبيرة فى المنطقة قد يكون لها تأثيرها الخطير على مصالحها فيها ، وخاصة أنه بعد تسريح الجيوش بانتهاء الحرب قد يجد نفسه عاجزا عن سحقها من هنا وليس من وعد بلفور فقط .

كان الحافز الحقيقى للاستعمار على الاسراع فى اقامة اسرائيل هو أنه يبغى من ورائها أهدافا ثلاثة(١) .

١ ـ أن تكون حاجزا جغرافيا يعوق امتداد الوحدة العربية .

٢ ـ أن تكون وسط الاجزاء الممزقة للعالم العربى قاعدة يطل منها تهديده الدائم .

٣ ـ أن تكون أسفنجة كبيرة تمتص الطاقة الثورية العربية

ويقول الرئيس جمال عبد الناصر :

« من ناحية اسرائيل نحن نؤمن ان الشر الذى وضع فى قلب العالم العربى لابد أن يقتلع وان الحق الذى اغتصب من الكل العربى لابد أن يعود الى أصحابه .. ولكن ذلك يتطلب قوة عربية ذاتية شاملة .. لهذا وضعت مشكلة اسرائيل فى ختام هذه العوامل من

(١) من مقال الاستاذ حسنين هيكل بجريدة الاهرام ١٢ من مايو سنة ١٩٦١ .

سياستنا فى علاقاتها بالاطراف غير العربية ٠٠ ذلك ان هذه المشكلة تتصل اتصالا وثيقا بأوضاعنا الداخلية لانها كما قلت ترتبط ارتباطا لا انفصال فيه مع قوتنا الذاتية الشاملة٠٠ فاذا ما ذكرنا اننا لا نواجه اسرائيل وحـــدها وانما نواجه معها من قوى الاستعمار ما لابد من حسابه اذا ما ذكرنا ذلك أدركنا حدود القوة الذاتية الشاملة اللازمة لنا لتصحيح جريمة ١٩٤٨ ٠

الرجعيـــة

الاستعمار والرجعية صنوان متلازمان متكاملان ٠ فمنـــذ أن دخل الاستعمار الوطن العربى وهو يسعى الى خلق فئة رجعية ضعيفة الارادة وربط مصالحها بمصالحه ومصيرها بمصيره لتـكون أداة يتستر وراءها فى تنفيذ مخططاته الاستعمارية الهادفة لمحـو معالم الوَحـــدة العربية ووأد الطلائع الثورية التحررية ٠ وعن طريقها يتسلل الاستعمار الى صفوف القيادة والحكم ٠ ٠ وعـلى يديها يجرد الاستعمار الشعب العربى من حقه الطبيعى فى ملكية أرضه ومقدراته وثرواته ٠

وشاء الاستعمار أن يجعل من الارث شريعة لخلق هذه الطبقة الرجعية بحيث تسمح للقلة الرجعية أن تحتكر وتستغل وتسيطر على ثورة ومقدرات الوطن لتكون ملكا لها وحدها دون الاغلبيـــة صاحبة الحق الاول وذلك كله من أجل تدعيم الطبقة الرجعية التى ماهى الا ركيزة له ولبقائه ولمصالحه ٠

والرجعية العربية التى ماهى الا ركيزة الاســـتعمار فى الوطن العربى تؤمن بالجمود وتلجأ الى أســـاليب التخفى والتستر وراء شعارات جوفاء داعية الى الدعة والاخلاص والمهادنة٠٠ لابسة مسوح الرهبان حتى تأتى ساعة الصفر التى تتمناها وتسفر عن وجههـا الحقيقى وشعاراتها الكاذبة ونواياها الغادرة ٠

ومن هنا تلجأ الى العنف وتستخدم السلاح وتحكم بأسلوب الانقلاب ٠

وان الثورة المضادة التى قامت وفشلت فى لبنان أخيرا هى

السلاح التقليدى الذى تلجأ اليه الرجعية دائما للدفاع والذود عن وجودها ومصالحها عندما تأتى ساعة الصفر التى تحددها وتتمناها للقيام بثورة مضادة من أجل مصالحها ومصالح الاستعمار ·

ولعل في الحركة الرجعية الانفصالية الاخيرة في سوريا أكبر دليل مؤكد على أن الاستعمار والرجعية صنوان متلازمان متكاملان وان الرجعية العربية انما تستهدف سلب جماهير الشعب الكادحة حقوقها ومكاسبها وثرواتها من أجل شهوة السيطرة والاستغلال للرجعية والاستعمار ·

نؤكد ماسبق بفقرات من بيان الرئيس جمال عبد الناصر الى شعب الجمهورية المتحدة مساء ١٦ اكتوبر ١٩٦١

ان الطبقة الرجعية المستغلة التى كنا نستهدف القضاء على امتيازاتها في معركة الحرية الاجتماعية كانت الحليف الطبيعى للاستعمار الذى كنا نحاربه فى معركة الحرية السياسية وصورته الظاهرة كانت كقواعد عسكرية وكمراكز احتلال ·

أثبتت التجربة أن الرجعية وهى من ركائز الاستعمار لاتتورع عن الارتكاز عليه بدورها لتسلب النضال الشعبى ثمراته الاجتماعية وأثبتت التجربة أن الرجعية على استعداد للتحالف مع الاستعمار ذاته لتستعيد مراكزها الممتازة التى تتمكن بها من مباشرة استغلالها حتى لو أدى ذلك الى أن تمكن له من التحكم فى مقدرات الشعوب التى تنتمى اليها ·

لقد غير الاستعمار طريقة تسلله الى أرضنا فى حين أننا لم نغير طريقة مهاجمتنا له ·· كنا مانزال نقاوم أحلافه العسكرية وقواعده على حين كان هو يتوارى وراء الرجعية وفى قصورها العالية المشيدة من استغلال الجماهير ·

وكان لابد لنا أن نقاتل الاستعمار فى قصور الرجعية وأن نقاتل الرجعية فى أحضان الاستعمار ·

لم تكن القوة الرجعية بمثل طيبة الجماهير وسماحتها ونبلها ولقد رأينا فى سورية كيف تكتلت الرأسمالية والاقطاع والانتهازية

مع الاستعمار للقضاء على مكاسب الجماهير ولضرب الثورة الاشتراكية ولاسترداد جميع امتيازاتها ولو بالقوة المسلحة وباراقة الدماء .

ولم تشعر الرجعية بذرة من العرفان تجاه هذه الحرية التى تركت لها من غير استحقاق، بل العكس كان موقفها ، فلقد استعملت هذه الحرية لتضرب الشعب ولتخرب ولتدمر ولتنقلب على أهدافه وخططه وأحلامه وتشعل فيها النار جميعا لاتهتم .. ولا تبالى .

٥ - الشيوعية المحلية

لقد أثبتت الاحداث التى جرت والجارية الآن فى الوطن العربى جوهر الشيوعية المحلية كحركة غريبة النمو والطبيعة والتركيب عن حركة القومية العربية الاشتراكية الديمقراطية التقدمية .. اذ أزاحت هذه الاحداث الستار عن الاهداف الهدامة للشيوعية المحلية ومزقت الاقنعة الزائفة لتكشف بوضوح للامة العربية عن قناع الدجل ومسوح الرهبان وحقيقة الدعة والاخلاص للحركة الشيوعية المحلية فى الوطن العربى .

فبماذا يمكن أن نفسر موقف الشيوعية المحلية من قضايانا العربية ومواقفها العدائية قبل الحرب العالمية الثانية تجاه معركة التحرر العربى بمهادنة الاستعمار الفرنسى فى سورية ولبنان والمغرب العربى وتجاه قضية الاسكندرونة ومهادنة الاستعمار البريطانى فى فلسطين والعراق ومصر ومهاجمة ثورة العراق عام ١٩٤١ ومعارضة جلاء فرنسا عن سورية ولبنان ؟

وكيف يمكن أن نفسر موقف الشيوعية المحلية من قضية فلسطين وموقفها المائع تجاه الحركة الصهيونية حين أيدت دعوتها لاقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين وانشاء دولة اسرائيل ؟

وكيف يمكن أن نفسر موقف الشيوعية المحلية تجاه قيام الجمهورية العربية المتحدة أول نواة للوحدة العربية الشاملة .. ذلك الموقف المتآمر الذى يحارب الوحدة العربية بشراسة وحقد فاقت شراسة وحقد الاستعمار الغربى عدو الوحدة الأول .

وكيف يمكن تفسير موقف الشيوعية المحلية من ثورة ١٩٥٨

فى العراق من اثارة الفتن والنعرات التى أحالت العراق الى معقل من معاقل الفوضى الهمجية وعمليات السحل وحمامات الدم ؟ ·

وكيف يمكن تفسير موقف الشيوعية من الثورة الاجتماعية فى الجمهورية العربية المتحدة ·· واصدار بيانهم الذى صاغوه من أحقادهم بعد صدور القوانين الاشتراكية الجديدة فى الجمهورية العربية المتحدة ·· هذا البيان الذى أساسه التهجم وخطته الافتراء ومحاولة الخداع تحت ستار أقاويل ترتبط بالمذهب الاشتراكى فى ظاهرها وتخفى الزور والبهتان فى باطنها ؟

وقد حوى البيان الشيوعى العميل من الاباطيل مالايستغرب عن الذين صاغوه ·· فهم عملاء باعوا أنفسهم بثمن بخس وزين لهم الشيطان أن الاتباع قد يصلون الى هدف رسموه ·· حتى انك تستشف من سطور بيانهم أنهم يريدون أن يهاجموا الجمهورية العربية المتحدة حقدا على تطورها الاشتراكى العظيم لانهم يريدون عن طريق هذا الهجوم الوصول الى أهدافهم الخسيسة ولو عن طريق مناصرة الرجعية والاقطاع والدفاع عن الطبقات التى استغلت الشعب واستنزف دماءه وجهده وعرقه (١) ·

بماذا يمكن تفسير هذه المواقف المتآمرة وغيرها من المواقف المعادية والمعرقلة لحركة القومية العربية التى انطلقت لبناء القوة العربية الذاتية الشاملة ·

ان التفسير الوحيد يتلخص فى تصورى فى ثلاث نقاط :

أولا ـ ان تجربة ثلاثين عاما من عمل الشيوعيين فى الوطن العربى تظهر بما لايقبل الشك أن موقفهم من الوحدة العربية والقومية العربية كان موقفا تكتيكيا لاموقفا عقائديا ·· لان محاولة تجاوبهم مع قضية الوحدة فى السنوات القلائل الماضية ·· وقبل انقلابهم ثانية عليها لم يكن قط الا تلازما ظرفيا لاايمانا ثابتا ذلك الانطلاق(٢) ·

---

(١) «رد على الشيوعية» من منشورات مصلحة الاستعلامات ج·ع·م

(٢) الشيوعية المحلية ومعركة العرب القومية للاستاذ الحكم دروزة ص ١٢٠

الحركة القومية والحركة الشيوعية تختلفان من ثم في الاهداف ·

الحركة القومية والحركة الشيوعية تختلفان في طابع العقيدة

الحركة القومية والحركة الشيوعية تختلفان في المخطط النضالي الذي تسترشد به كل منهما وتخوض المعركة العربية على أساسه ·

ثانيا – يرجع العداء السافر للشيوعية المحلية للقضايا العربية الى أن الاحزاب الشيوعية المحلية لم تكن حزبا واحدا يخضع لقيادة عربية شيوعية واحدة ·· وانما كانت أحزابا متعددة ومستقلة وكانت قيادتها تابعة لاحزاب شيوعية أجنبية في ايطاليا وفرنسا على وجه الخصوص ، بالاضافة الى أن صفوة أعضاء الاحزاب الشيوعية العربية في البلاد العربية كانوا أجناسا معادية بطبيعتها للقومية العربية(١) ·

ثالثا – الشيوعية المحلية تؤمن بأنها لاتستطيع أن تباشر نشاطها الهدام الا وسط المتناقضات الاجتماعية التي تولد حرب الطبقات والصراع الدموي الذي يمكنهم من القيام بالانقلاب الدامي الذي عن طريقه يصلون الى الحكم ، ولهذا لايعجب الانسان للتحالف الذي تم في كل الاحيان بين الاستعمار والشيوعية في أكثر من بلد عربي ·· سواء في ذلك الجزائر أم فلسطين أم مشكلة الاسكندرونة أم العراق ، أم سورية أخيرا ·

التخلف

في تصوري أن التخلف الاقتصادي والاجتماعي للامة العربية هو التركة أو الارث الاستعماري الذي يتركه الاستعمار وراءه أينما وضع رحاله ·

والارث والتركة الاستعمارية يتمثلان في واقع اقطاعي ··

(١) أسرار الحركة الانفصالية في سورية للاستاذ احمد مهابة ص ٤٥،٤٦

رجعي متخلف اقتصاديا أو اجتماعيا · ويئن تحت وطـأة الفقر والحرمان والاحتكار والاستغلال لمصلحة الاستعمار الاقتصـــــادي وأعوانه من الرأسماليين الرجعيين دون الاغلبية الشعبية صاحبة الحق الاول في مقدراتها وثرواتها ·

والتخلف الاقتصادى والاجتماعى هوالتحدى الذى استطاعت ثورة ١٩٥٢ أن تجابهه وتتصدى له وتحطمـــه وهى تسعى بكل طاقاتها وجهدها الى بناء مجتمع اشتراكي ديمقراطى تعاونى يقوم على دعامتين من وفرة وكفاية الانتاج وعدالة التوزيع ·

ولقد كانت اشتراكيتنا فى جانبها السلبى تعمل على هدم وتحطيم التخلف الاقتصادى والاجتماعى ·· وعلى أنقاض هـــذا الهدم والتحطيم فان اشتراكيتنا فى جانبها الايجابى تعمل على اقامة مجتمعنا الجديد الذى يقوم على دعامتين من الوفرة والعدل ·

والآن نلقى نظرة سريعة على الهيكل الاقتصادى والاجتماعى المتخلف فى مصر قبل ثورة ١٩٥٢ ·

كان الهيكل الاقتصادى فى الدولة قبل الثورة مبنيا أساسا لخدمة الاستعمار والاقطاع واعوانهما ·· فالانتاج كان مصـــدره الأكبر الزراعة ·· والارض الزراعية كانت خاضعة للنظم الاقطاعية والاستغلالية وأهل الريف فريسة للفقر والمرض والجهل وجــور الحكام ·· وكانت البنوك والمؤسسات المالية الاجنبيـــــة تسيطر سيطرة تامة على الاقتصاد وتتقاسم الارباح الكبيرة مع ذوى النفوذ والسلطان والمؤسسات المهيمنة على التجارة الخارجية تكاد تكون مملوكة كلها للاجانب ، ومعظم صادراتنا ووارداتنا وقف على الدول المستعمرة التى احتلت أراضينا حينا طويلا من الزمان وكنا طوال الوقت نتعامل مع هؤلاء المستعمرين الذين ادعوا انهم حلفـــاؤنا اقتصاديا وثقافيا وفكريا ·

بمثل ذلك الهيكل الاقتصادى تعثرنا بالفساد الادارى بالأداة الحكومية والفساد الحزبى · وطغيان المصالح الاجتماعية الفردية فى الدوائر الحاكمة لم يكن ليؤدى قط الى احداث نهضة اقتصـــادية حقيقية ·· بل انه ضيع على البلاد عدة فرص طيبة لارساء قواعد التقدم الاقتصادى والاجتماعى وان العرض السريع لتطور الدخل

القومى فى الخمسين سنة الماضية قبل الثورة ليدل على أن دخل الفرد لم يكن يزداد قط فى تلك الفترة لان التقدم الاقتصادى ـ ان كان ثمة تقدم ـ لم يكن يفوق الزيادة المطردة فى عدد السكان ٠٠ واذا كان قد حدث فى العقد الاول من القرن أن ازداد الدخل فى مصر زيادة سريعة نسبيا بسبب استغلال مياه خزان اسوان كما حدثت ظاهرة مماثلة فى أعقاب الحربين العالميتين الاولى والثانية بسبب الارتفاع الكبير فى أسعار المحصولات الزراعية المصدرة مما ترتب عليه أن تراكمت لنا أرصدة استرلينية ضخمة كان يمكن استغلالها لارساء قواعد سليمة قوية ينطلق منها الاقتصاد فى طريق النمو ـ نقول : انه اذا كان قد حدثت كل هذه الفرص المواتية فانها ضاعت وبعثرت الاموال بالادارة الفاسدة وسوء الاستغلال وعدم تحديد أهداف يسعى اليها ولم يقتصر فى كل حالة من هذه الحالات على ضياع الفرصة التى لم تغتنم بل ان الاسراف وسوء التصرف الذى حدث فى السنوات الثمانى وفى فترات الرواج انعكس أثره بعد حلول السنوات العجاف التى تلت ذلك ٠٠ فانتابت البلاد أزمات اقتصادية عنيفة سلمت فيها الاراضى الزراعية الرهون العقارية ٠ ٠وكانت المصلحة الاجنبية فيها كبيرة كما استنفدت الارصدة فى علاج آثار الاسراف والبذخ واستهتار الحكام(١) ٠

ان الصورة الحقيقية للتخلف الاقتصادى والاجتماعى فى مصر قبل الثورة تعكسها الارقام الآتية :

(ا) ١٪ يحصلون على ٥٠٪ من الدخل القومى ٠

(ب) ٣٠ جنيها متوسط دخل الفرد سنويا ٠

(جـ) معدل النمو الاقتصادى لايزيد عن ١ ٪ سنويا فى حين أن الزيادة فى عدد السكان ٢ر٥ ٠/٠ سنويا ٠

هذه صورة سريعة للتخلف الاقتصادى والاجتماعى فى مصر

---

(١) من بيان السيد عبد اللطيف البغدادى نائب رئيس الجمهورية العربية عن الخطة الخمسية فى المؤتمر العام للاتحاد القومى سنة ١٩٦٠

قبل الثورة · ·والذى مازال الطابع العام لكثير من البلاد العربية التى تخضع للحكم الرجعى الاستعمارى ·

وان التخلف الاقتصادى والاجتماعى فى حقيقته هو التحدى الذى يجابه أية دولة عربية نالت استقلالها السياسى وتسعى الى تحقيق استقلالها وحريتها الاقتصادية والاجتماعية من أجل بناء قوتها الذاتية القادرة على الصمود أمام جميع قوى التحديات المعادية المعرقلة لها ·

ولقد استطاعت ثورة ١٩٥٢ أن تجابه تحدى التخلف الاقتصادى والاجتماعى وأعلنت الثورة الاجتماعية بجانب الثورة السياسية ·· وعبأت طاقاتها وامكانياتها من أجل تحطيم هذا التخلف واقامة المجتمع الاشتراكى الذى يقوم على دعامتين من وفرة الانتاج وعدالة التوزيع ··

ولقد كانت اشتراكيتنا فى جانبها السلبى نعمل على هدم وتحطيم التخلف الاقتصادى والاجتماعى ·· وعلى أنقاض هذا الهدم والتحطيم فان اشتراكيتنا فى جانبها الايجابى تعمل على اقامة مجتمعنا الجديد الذى يقوم على دعامتين من الوفرة والعدل ·

وفى مشروع الميثاق الوطنى قدم الرئيس جمال عبد الناصر الطريق السليم والوسيلة الوحيدة لمغالبة التخلف فقال فى الفصل الثانى (فى ضرورة الثورة) :

« لقد أثبتت التجربة وهى مازالت تؤكد كل يوم أن الثورة هى الطريق الوحيد الذى يستطيع النضال العربى أن يعبر عنه من الماضى الى المستقبل » ·

فالثورة هى الوسيلة الوحيدة التى تستطيع بها الأمة العربية أن تخلص نفسها من الأغلال التى كبلتها ومن الرواسب التى أثقلت كاهلها فان عوامل القهر والاستغلال التى تحكمت فيها طويلا ونهبت ثرواتها لن تستسلم بالرضا وانما لابد على القوى الوطنية أن تصرعها وأن تحقق عليها انتصاراً حاسماً ونهائياً ·

والثورة هى الوسيلة الوحيدة لمغالبة التخلف الذى أرغمت

عليه الأمة العربية كنتيجة طبيعية للقهر والاستغلال ، فان وسائل العمل التقليدية لم تعد قادرة على أن تطوى مسافة التخلف الذى طال مداه بين الأمة العربية وبين غيرها من الأمم السابقة فى التقدم ولا بد والامر كذلك من مواجهة جذرية للأمور تكفل تعبئـــة جميع الطاقات المعنوية المادية للأمة العربية لتحمل هذه المسئولية ·

والثورة بعد ذلك هى الوسيلة الوحيدة لمقابلة التحدى الكبير الدى ينتظر الأمة العربية وغيرها من الأمم التي لم تستكمل نموها ، ذلك التحدى الذى تسببه الاكتشافات العلمية الهائلة التى تساعد على مضاعفة الفوارق ما بين التقدم والتخلف فانها بما توصلت اليه من المعارف تيسر للمتقدمين أن يكونوا أكثر تقدماً وتفرض على الذين تخلفوا أن يكونوا ـ بالنسبة اليهم ـ أكثر تخلفا برغم كل ما قـد يبذلونه من جهود طيبة لتعويض ما فاتهم ··

ان الطريق الثورى هو الجسر الوحيد الذى تتمكن به الأمــة العربية من الانتقال بين ماكانت فيه وبين ماتتطلع اليه ·

البحث الثانى

نحو قوة عربية ذاتية شاملة

القوة العربية الذاتية الشاملة هى المطلب الحقيقى لمعـــركة النضال العربى التحررى الهادفة لتحرير الوطن العـــربى سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وانسانيا . واقامة المجتمع الاشـــــتراكى الديمقراطى التعاونى الذى يقوم على جناحين من وفرة الانتاج وعدالة التوزيع ..

« وان نظرة سريعة مجردة عن الهوى ومنصفة الى العالم العربى اليوم تؤكد أن فيه احتمالين للقوة الذاتية العربية (١) .

الجمهورية العربية المتحدة ـ أولا ـ بكل ما تمثله من الطاقات الثورية التى تقوم الآن بجهد بطولى لتغيير شامل وأساسى يستهدف صنع مستقبل قائم على دعامتين من الوفرة والعدل .

« ثم البترول العربي ـ ثانيا ـ بكل ما يمثله من امكانيات قادرة على المساهمة العملية فى صنع الذاتية العربية ·

وبينما نجد الجمهورية العربية المتحدة مندفعة الى الامام بكل جهدها بل بما يزيد أحيانا عن كل جهدها .. فان البترول العـــربى « الاحتمال الآخر للقوة » ـ لم يبدأ بعـــــد فى تحمل مسئوليته . ومازال يبعثر طاقته هباء على رمال الصحراء .

وفى هذا البحث الثـــــالث نستعرض دور كل من الجمهورية العربية المتحدة .. ودور البترول العربى فى بناء وتوفير القـــــوة العربية الذاتية الشاملة للأمة العربية .

---

(١) من مقال للاستاذ محمد حسنين هيكل ـ الاهرام فى ١٩ مايو عام ١٩٦١

الجمهورية العربية المتحدة
والقوة العربية الذاتية الشاملة

لم يكن غريبا ولا بعيدا .. أن تتمثل وتتجسد القوة العربية الذاتية المعاصرة فى الجمهورية العربية المتحدة .. وأن تكون جمهوريتنا طليعة النضال العربى التحررى وقاعدته « وأن تسعى الآن وهى تستكمل ملامحها الأساسية » أن تكون المثل الأعلى لما يجب أن يكون عليه الوطن العربى الحر والمواطن الحر وان تعيد كتابة التاريخ من جديد .

أقول لم يكن غريبا ولا بعيدا .. أن تقوم جمهوريتنا بهذا الدور البطولى القيادى على الصعيد العربى .. «اذ ما أشبه الليلة بالبارحة» والتاريخ والحقيقة شاهدان ومؤكدان أن جمهوريتنا اليوم هى مصر الأمس صاحبة الدور القيادى النضالى التى أوقفت غزو المغول وردتهم عن بلاد الشام أيام « قطز » فى معركة عين جالوت .. وباتحادها مع سورية استطاعت أن تصد الغزو الصليبى وكانت أرضها معقل الأحرار العرب الوافدين عليها اثر اضطهادهم من الأتراك العثمانيين أو الاستعماريين الأوربيين :

ومن أثر التقدم الطارىء على مصر فى مبادرتها الى اقتفاء أثر النهضة العلمية الحديثة فى أوربا منذ أن دقت الحملة الفرنسية بابها أن أصبح لكفاح مصر السياسي ونهضتها الحديثة أثرهما فى الأقطار العربية المجاورة التى أخذت الأصوات فيها تردد حقيقة عروبة مصر وأهمية دورها فى مساندة الكفاح العربى الذى كان يجرى متوازيا مع كفاحها فى البلاد العربية الأخرى . كذلك كان لاشتداد الحركة العربية فى البلاد الشامية والعراقية وتجاوبها مع مصر فى كفاحها الوطنى أثر شديد فى تجاوب مصر مع تلك البلاد فى كفاحها (١)

« ومصر هى التى قامت بالدعوة الى لم شعث البلاد العربية فى وحدة جامعة » وتبنت فكرة الجامعة العربية منذ المشاورات والمباحثات التمهيدية حتى اتخذت لها القاهرة قاعدة ومقرا ..

---

(١) راجع كتاب «محاضرات فى المجتمع العربى» للاستاذ الدكتور عز الدين فوده .

ومصر هي التي حملت العبء الاكبر في الدفــاع عن القضية الفلسطينية منذ مؤتمر لندن عام ١٩٣٩ كما حملت العبء الأكبر في المعركة ضد الصهيونية ومازالت تحمل علم النضال ضدها لاجلائها عن الأرض المقدسة (١) .

وجمهوريتنا اليوم هي مصر الأمس التي حــافظت على التراث العربي والاسلامي في عصور المحق والركود والانحطاط ... وكانت مركز اشعاع حضاري وعلمي وثقافي وفكري ..

والحديث عن الدور القيادي النضالي لمصر الأمس حديث طويل ممتع ليس هنا مجـال سرده ولكن ما يهمنا هنا أن نقول : ان مصر الأمس هي جمهوريتنا اليوم التي مازالت تواصل القيام بدورها القيادي النضالي وخاصة منذ قيام ثورة عام ١٩٥٢ التي كانت بمثابة نقطة الانطلاق نحو الحرية العربية الشاملة : حرية الأرض العربية وحرية الانسان العربي صاحب تلك الأرض . والحرية السياسية والاقتصادية .. والاجتماعية .. والانسانية .

ثورة عـام ١٩٥٢

لم تكن ثورة عام ١٩٥٢ عملا آليا تم من تلقاء نفسه نتيجة ظروف سطحية طارئة .. اذ يقول الرئيس جمال عبد الناصر « ان .. قصص كفاح الشعوب ليس فيها فجوات يملؤها الهباء ... وكذلك ليس فيها مفاجآت تفتقر الى الوجود دون مقدمات ... ان كفاح أي شعب جيلا ... بعد جيل ... بناء يرتفع حجرا فوق حجر ، وكما أن كل حجر في البناء يتخذ من الحجر الذي تحته قاعدة يرتكز عليها كذلك الأحداث في قصص كفاح الشعوب كل حدث منها نتيجة لحدث سبقه وهو في الوقت نفسه مقدمة لحدث مازال في ضمير الغيب » .

وعليه .. فان ثورة عام ١٩٥٢ حدث تاريخي فريد في غنى معناه العقائدي على الصعيد العربي ... ذو اتجاه قومي تحرري

(١) المرجع السابق للدكتور عز الدين فوده ص ٩٨ ، ١٠١ .

وحدوى تقدمى يستهدف احداث تغييرات ثورية وتبديلات جذرية فى المجتمع العربى من أجل بنـــــاء المجتمع الاشتراكى الديمقراطى التعاونى من أجل بناء الوطن العربى الجديد الحر والموطن العربى الجديد الحر ٠

ثورة قومية

ثورة عام ١٩٥٢ ثورة قوميـــــة نقطة انطلاقها تنبع وتنبثق عن القومية العربية أســــــــاسا فالقومية العربية هى المنطلق الذى يبلور واقعها ومرتجاها والذى به تشكل ملامحها وتحقق مبادئهـا وأهدافها وتحدد طريقها وخط عملها ليكون الطريق أجلى ما يمكن وأوضحه الى الوحدة العربية الشاملة ويقول الرئيس :

« تبلورت الثورة العربية وتحددت فى عقيدة القومية العربيه باعتبارها طريقا الى الوحدة العربية ٠

والقومية العربية ما هى الا واقع العرب التاريخى الاجتماعى المصلحى المصير الذى انبثق عن تفاعل وامتزاج جميع الروابـــــط السابقة فى التاريخ العربى الطويل ٠٠ تفاعلا مركبا شد العرب فى وحدة قومية متميزة » ٠

وهذه الروابط هى : اللغة الواحدة والتاريخ الواحد والمصير الواحد ٠٠ والمصلحة الواحدة ٠

ثورة ديمقراطية

ثورة عام ١٩٥٢ ٠٠ ثورة ديمقراطية ٠٠ أعادت الثقـــــة الى الديمقراطية بعد أن انطفأ بريقها وفقدت معناها الحقيقى ومدلولها واكتوت بلظى صراع ومساومات واحقاد الأحزاب السياسية قبل الثورة ٠ وكان الشعب صاحب الديمقراطية والمشرع الأصـــــلى والحقيقى كان وقود هذا الصراع وهذه المساومات والأحقاد ٠

ثورة عام ١٩٥٢ ثورة ديمقراطية ٠٠ قدرت الديمقراطية حق

قدرها وكانت الديمقراطية السياسية بجانب الديمقراطية الاجتماعية ·· وذلك لتحقيق الحرية السياسية والحرية الاجتماعية·

ثورة ديمقراطية ·· كانت على أوسع قاعدة شعبية جماهيرية وهى الاتحاد القومى ·

« والاتحاد القومى ·· تنظيم يوفر الاطار والمجال للعمل الاقتصادى وذلك بحشد أكبر طاقة دافعة نحو زيادة الانتاج وتأكيد التعبئة القائمة على الدعوة وعلى المشاركة الواعية وفى محاولة توسيع قاعدة الثورة الوطنية » ·

« والاتحاد القومى تنظيم يوفر الاطار والمجال للتغير الاجتماعى فى نطاق السلامة الوطنية وذلك بأن يمنح هذا الصراع الذى لا مفر منه ضمانا من الوحدة الوطنية من أجل ازالة المتناقضات وتذويب الفوارق بين الطبقات ··

« والاتحاد القومى كذلك تنظيم يوفر الاطار والمجال للامن القومى بأن يجمع القوى الشعبية القادرة على صد كل غارات الكتل الدولية فى غير ما عزلة عن المجتمع الدولى وذلك حتى لا ينتهى أمر الوطن اما بالقسمة بين نفوذ هذه الكتل واما بارغامه على الدخول كرها فى أفلاكها وخاصة اذا ما حاولت هذه الكتل أن تستغل جو صراع الطبقات فيه (١) ·

ولقد دلت الحركة الرجعية الانفصالية فى سورية ·· على أن الرجعية استطاعت أن تتسلل الى صفوف القيادة · فشلت فاعلية الاتحاد القومى الثورية وحولته الى مجرد واجهة تنظيمية لا تحركها قوى الجماهير ومطالبها الحقيقية ·

ومن هنا كان واجبا ولازما علينا اعادة التنظيم الشعبى على النحو التالى ··

١ ـ اللجنة التحضيرية للمؤتمر الوطنى ·· وعملها تنظيمى وعليها أن تدرس على أوسع نطاق ممكن وأعمقه ما يلى :ـ

---

(١) من مقال الاستاذ محمد حسنين هيكل بالاهرام فى ٢١ من يوليو عام ١٩٦١

(أ) من هي قوى الشعب الحقيقية والأصلية التى تطلب الثــــورة ؟

(ب) كيف يمكن عقد مؤتمر يمثل هذه القوى الشعبية تمثيلا رأسيا أى على أساس المهن والطوائف والتيارات الفكرية ٠

(جـ) كيف يمكن أن تجرى عملية الانتخاب الحر لاختيـــــار ممثلين يعبرون عن هذه القوى الشعبيـــــة ويمثلونهـــا فى المؤتمر الوطنى وكيف يمكن أن تتم هذه العملية فى المهلة الزمنية المحدودة٠

٢ ـ المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية ويتشكل على أســـــاس الانتخابات فى الطوائف والمهن الحرة بحيث يمثل كل التيـــارات الفكرية وتكون مهمته ان يناقش تقرير الرئيس جمال عبد النـاصر ويبلور « نتيجة المناقشة » ميثاق العمل الوطنى ليكون الالتزام به ونطويره أساس المعركة الانتخابية ٠

٣ ـ المؤتمر العام للاتحاد القومى : يتكون بالانتخاب من قاعدة اللجان التأسيسية المنتخبة من الشعب ويكون السلطة الشعبية العليا فى البلاد ويرسم طريقة وضع الدستور الدائم للجمهورية المتحـــدة ويتضمن الدستور طريقة انتخاب المجلس النيابى الذى يصبح هو السلطة التشريعية ٠

ثورة تحريرية

ثورة ١٩٥٢ ثورة تحريرية ٠٠ تخوض معركة النضال العربى التحررى من أجل تحقيق الحرية الشاملة حرية الأرض العربيـــة وحرية الانسان العربى صاحب هذه الأرض ٠

وثورتنا وهى تسعى الى تحقيق حرية الوطن وحرية الوطـن انما هى فى الوقت نفسه تساند حرية كل بلد عربى وحرية كل بلد يناضل من أجل الحرية ٠

اذ ثورتنا وجمهوريتنا طليعة للحرية وقاعدة للحرية يؤكـــد ذلك قول الرئيس :ـ

ان الحرية بطبيعتها لا يمكن أن تكون أثرة اقليمية ولهذا فان الشعب الحر لا يملك الا أن ينتصر للحرية فى كل مكان٠

ومن ناحية أخرى فان الحرية بمنطقها الزمنى تدرك أن نجاحها فى مكان انما هو أمن وتدعيم لنجاحها فى مكان آخر » .

ثورية وحدوية

ثورة ١٩٥٢ ثورة وحدوية تؤمن بحتمية الوحدة العربية من المحيط الاطلسى الى الخليج الفارسى ... وتستهدف تغيير الخريطة السياسية المزيفة للوطن العربى ومسح الخطوط والفواصل الوهمية وازالة الحواجز المصطنعة بين الوطن العربى .

ويقول الرئيس عن ثورة ١٩٥٢ :

« انها ثورة عربية فى كل قطر عربى تحفزه الى تخطى الأسوار والى كسر الحواجز سواء منها الأسوار والحواجز المادية التى تتمثل فى الحدود التى اصطنعها الدخيل الغاصب او الاسوار والحواجز المعنوية التى تتمثل فى الشكوك التى زرع بذورها الدخيل الغاصب نفسه » .

ويحدد الرئيس مبادىء الوحدة والأسس التى تقوم عليها بما يلى :

أولا ـ أن يكون الاختيار الحر المستقل عن طريق أى شعب من شعوب الأمة العربية .

ثانيا ـ أن يكون هذا الشعب العربى قد استكمل مقومات وحدته الوطنية داخل حدوده القائمة قبل أن يدخل فى ارتباط أوسع مدى من هذه الحدود .

ثالثا ـ أن يكون هذا الشعب قد عقد اجماعه على طلب الوحدة وعلى تثبيت من يقينه رغبة فيها .

وعلى هذه الاسس فاننا دعاة وحدة ونؤمن أن الوحدة ينبغى ان تكون تطورا ويجب ألا تتم بالانقلاب .

وعلى هذه الأسس فاننا نناصر كل وحدة عربية على أى مدى

والى أية درجة يتفق عليها اجماع أى شعب عربى مع أى شعب عربى آخر ايماننا صادقا منا بأن الوحدة العربية هى أعلى مراحلها الوطنية العربية وأعز غاياتها فى مفتاحها الى القوة ٠٠ مفتاحها الى الحياة ٠

ولهذا فان ثورة ١٩٥٢ ثورة وحدوية تؤمن بحتمية الوحدة بين الدول العربية وبذلك تكون قد قضت على المخططات الاستعمارية والنعرات الاقليمية ٠٠ فرعونية مصر ٠٠ وفينيقية لبنــــان ٠٠ وافريقية السودان ٠٠ وبربرية شمالى افريقية ٠٠ الخ ٠ الخ ٠

ثورة سياسية وثورة اجتماعية

ثورة ١٩٥٢ ٠٠ ثورة سياسية وثورة اجتماعية ٠٠ وهاتان الثورتان تسيران معا جنبا الى جنب وتتجهان بتفاعلهما المستمر الى بناء القوة الذاتية للجمهورية العربية المتحدة ومن ثم للأمة العربية فالثورة السياسية قامت من أجل تجديد وتغيير الخريطة السياسية المزيفة للوطن العربى ؛ لتزيل هذه الخطوط والفواصل والحواجـز المصطنعة التى تفتت الوطن العربى وتمزقه أشلاء :

ويقول الرئيس جمال عبد الناصر :

« برغم العقبات المادية والفكرية وبرغم القوى المضادة للثورة فى الداخل والخارج ٠٠ ورغم الاستعمار وأدواته وأعوانه قد مشى شعبنا شوطا طويلا فى اتجاه الثورة السياسية ، لقد انتزعنا الجلاء من أرضنا الطاهرة ٠٠ وتصدينا للأحلاف العسكرية الأجنبية ولم نخضع لمناطق النفوذ ٠ ٠ وكسرنا احتكار الســــلاح الذى فرض علينا ٠٠ ولم يفرض على عدونا ٠٠ وحررنا ارادتنا الدولية ووضعنا كل امكانياتنا مع غيرنا من الشعوب الناهضة للاستعمار والداعية الى السلام ٠٠ وسرنا بهذه الارادة الدولية الحرة على طريق طويل قادم من باندونج الى الأمم المتحدة الى الدار البيضاء الى بلجراد ثم استعدنا شخصيتنا العربية الأصيلة بعد أن حاولت قوى مختلفة أن تحجب الرؤية الصافية عنا بالزيف والضلال ٠ وانحزنا بـكل قوانا الى النضال الشعبى العربى فى كل أرض عربية ارتفع فوقها للواء بنضال عربى حر أصيل ٠

ثم كانت استعادة قناة السويس هى ذروة مواجهتنا لمعركة الحرية السياسية وكانت موقعتنا الفاصلة فى هذه المعركة ، وكان النصر للقوى الشعبية فى موقعة السويس الفاصلة ٠

واذا كانت الثورة السياسية قامت من أجل تحديد وتغيير الخريطة السياسية المزيفة للوطن العربى ـ فان الثورة الاجتماعية أيضا ـ قامت من أجل تجديد وتغيير الخريطة الاجتماعية المزيفة للمجتمع العربى باحداث تغييرات ثورية وجذرية فى المجتمع العربى وذلك كله من أجل بناء الوطن العربي الحر والمواطن العربى الحر ٠٠ حرية سياسية واقتصادية واجتماعية وانسانية ٠٠

والحديث بالأرقام هو حديث الحقائق الذى يمثل صورة حقيقية للعمل الايجابى الحقيقى الذى أنجزته الثورة ويبين القدرة الايجابية المتحررة على مواجهة التخلف برغم الصعاب والظروف السياسية والاجتماعية وقوى التحدى التى كانت تعرقل الثورة ٠

وأمامى الآن بيان الرئيس جمال عبد الناصر الى شعب الجمهورية العربية المتحدة الذى ألقاه فى مساء ١٦ من أكتوبر سنة ١٩٦١ ٠٠ أستأذن القارىء فى نقل الصورة الرقمية التى وصفها الرئيس أمام الشعب العربى لتكون مرآة صادقة تعكس موضع أقدامنا فى طريق التقدم ٠٠ فى طريق بناء قوتنا الذاتية التى تضاعف الدخل القومى :

كان الدخل القومى سنة ١٩٥٢ ـ ١٩٥٣ هو ٨٠٦ ملايين جنيه فى السنة وأصبح سنة ١٩٦٠ ـ ١٩٦١ السنة المالية التى انتهت فعلا هو ١٣٩٧ مليون جنيه ٠ ٠ وتقديره المتوقع سنة ١٩٦١ ـ ١٩٦٢ أى السنة المالية الحالية ١٥٥٦ مليون جنيه فى السنة ، أى أن الدخل القومى تضاعف تقريبا خلال سنوات الثورة :

كانت ميزانية الدولة للسنة المالية ١٩٥٢ ـ ١٩٥٣ مبلغ ٢٢٨ مليون جنيه وأصبحت الميزانية للسنة المالية ١٩٦١ ـ ١٩٦٢مبلغ ٨٢٥ مليون جنيه ٠

نفقات الأمن القومى

واذا بدأت بجانب الخدمات الحكومية فلقد كنا على سبيل المثال نصرف ٤١ مليون جنيه فى السنة على الأمن القومى يدخل فيـــه الدفاع بطبيعة الحال ونحن الآن نصرف على الامن القـــومى ١١٦ مليون جنيه ومع ذلك ففى سنة الثورة كان هذا المبلغ يمثل ٢٥ ٪ من الميزانية تقريبا ٠٠

وفى هذا العام لا تزيد نسبة هذا المبلغ على ١٤٪ من الميزانية تقريبا ٠

هذا مع ملاحظة التوسع الهائل فى قواتنـــا المسلحة والتغيير الأساسى الذى حدث فى نوع سلاحها وفى كفايتها المقاتلة ٠

مدرستان كل ٣ أيام

وكنا نصرف على خدمات التعليم والثقافة ٣٣ مليون جنيه فى السنة ونحن نصرف عليها الآن ٧٩ مليون جنيه فى السنة ونرفع رءوسنا بأن برنامجنا يمضى بسرعة انشاء مدرستين جديدتين كل ثلاثة أيام ٠

٢٣ مليون جنيه للخدمات الصحية

وكنا نصرف على الخدمات الصحية ١٠ ملايين جنيه فى السنة ونحن نصرف الآن عليها ٢٣ مليون جنيه فى السنة ٠

٩ ملايين للخدمات الاجتماعية والدينية

وكنا نصرف على الخدمات الاجتماعية والدينية ٤ ملايين فى السنة ونحن نصرف عليها الآن ٩ ملايين جنيه فى السنة ٠

٢٨ مليون جنيه للمرافق العامة

وكنا نصرف على خدمات المرافق العامة ٧ ملايين من الجنيهات فى السنة ونحن نصرف عليها الآن ٢٨ مليون جنيه فى السنة ٠

الزراعـــة

وكنا نصرف على الخدمات الزراعية وخـدمات الرى ٥ ملايين من الجنيهات فى السنة ونحن نصرف عليها الآن ٢٣ مليون جنيه فى السنة ٠

٩١ مليون لباقى الخدمات

وكنا نصرف على باقى نواحى الخدمات ٨ ملايين من الجنيهات فى السنة ونحن نصرف عليها الآن ٩١ مليون جنيه فى السنة ٠

محصول القطن

ولو تركت ذلك الى الناحية الانتاجية وبدأت بالزراعة مثلا ـ ولا بد لنا أن نلاحظ أن التوسع الزراعى بطبيعته محدود برقعـــة الأرض وبالظروف الجوية ـ لوجدنا مثلا أن متوسط انتاج الفدان من القطن سنة ١٩٥٢ كان ٦ر٤ من القنطار فأصبح ٢ر٥ من القنطار سنة ١٩٦٠

ارتفاع انتاج القمح والأرز

فاذا انتقلت من القطن الى غيره من المحصولات وجدت أن انتاج القمح قد ارتفع بما نسبته ٣٢ فى المائة ، وانتاج الشعير قد ارتفع بما نسبته ٢٢ فى المائة ، وانتاج الأرز قد ارتفع الى ٥٣ فى المائه هذا عدا التوسع الكبير فى الخضر والفواكه والانتاج الحيوانى ٠

التوسع فى استصلاح الأراضى

ولو استعرضت بعد ذلك ما أنجزناه فى ناحيـــة استصلاح الأرض أى توسيع الرقعة الزراعية واستخلاص أرض خضراء جديدة من براثن الصحراء لوجدت أن كل ما كان يستصلح من الأرض فى مصر فى السنوات العشرين السابقة لم يزد متوسطه الســـنوى

- يدخل فى ذلك جهد الدولة أى وزارة الزراعة ومصلحة الأملاك والمجهود الفردى - على ٥٣٠٠ فدان فى السنة ٠٠ وفى سنة ١٩٥٩ وحدها مثلا وصل ما استصلح من الأرض الجديدة الى ٤٦ ألفا و٣٠٥ فدادين قفز سنة ١٩٦٠ ليضيف ٨١ ألف فدان جديدة ، ثم قفز سنة ٦١ التى يجرى العمل فيها الآن ليضيف ألفين ومائة ألف من الأفدنة الجديدة ٠٠ وطبقا للخطة وعلى أساس الاستفادة من مشروع السد العالى العظيم سوف يقفز التوسع فى الأرض ليضيف كل سنة ما يصل الى ٢٠٠ ألف فدان سنويا ٠

زيادة حجم التسليف الزراعى

وكان حجم التسليف الزراعى سنة ١٩٥٢ هو ١٥ مليون جنيه سنويا يستأثر كبار الملاك بالجزء الأكبر منه ٠٠ وهذا العام زاد التسليف الزراعى عن ٣٥ مليون جنيه ولست أذكر هنا التسهيلات الخاصة المترتبة على سوء محصول القطن هذا العام والتى وصلت قيمتها الى ٣٠ مليون جنيه ٠

١٦٢ ألف أسرة أصبحوا ملاكا

ولقد تضاعف تقريبا عدد الجمعيات التعاونية الزراعية وانضمت ١٦٢ ألف أسرة الى ملاك الأرض بفضل ما تم توزيعه بمقتضى قانون الاصلاح الزراعى الأول ، تملكت بالفعل ٨٥٢ر٤٣٠ فدانا ومازال باقيا تحت التوزيع من القانون الأول ٢٩ ألف فدان تجرى الآن تقوية كفايتها الانتاجية قبل توزيعها ولسوف تتملكها ٤٠ ألف أسرة ٠

كذلك بمقتضى قانون الاصلاح الزراعى الجديد وبمقتضى قرار توزيع أراضى الاوقاف سوف تتحول ٦٠ ألف أسرة الى التمتع بحق الملكية الزراعية للأرض ٠٠٠ هذا عدا الملاك الجدد للأراضى الجديدة التى تجرى اضافتها بجميع مشروعات استصلاح الاراضى الجديدة والسد العالى بينها بطبيعة الحال ٠

١٠ ملايين سيصبحون ملاكا

ولو أخذنا معدل خمسة أفراد للأسرة الواحدة لوجدنا أن مليونا من المواطنين أصبحوا ملاكا بمقتضى اعادة توزيع الأرض وأن عـــدة ملايين من المواطنين سوف يصبحون ملاكا بما سوف يستجد على الرقعة الخضراء من الارض المستخلصة من براثن الصحراء القاحلة ٠

٧٢٠ مليون جنيه للصناعة

وأترك الزراعة الى الصناعة

لقد كان ما وجه الى الاستثمار الصناعى كله سنة ١٩٥٢ فى مصر هو مبلغ مليونى و ١٥٠ ألف جنيـــه ، وفى العـــام المـــاضى وحده وجهنا الى الاستثمار الصناعى والكهربى ٨٨ مليون جنيه ، ومنذ سنة ١٩٥٧ بدأ التخطيط للصناعة اشتملت على برنامجـــين يتكلفان ٧٢ مليون جنيه ٠٠ تم تنفيذ الأول منهما والآخر يستكمل تنفيذه سنة ١٩٦٤/١٩٦٥ ٠

وما تم تنفيذه من هذه الخطة حتى الآن على صورة مصـــانع جديدة تمت اقامتها بالفعل هو ٣٥٠ مليون جنيه والباقى كله تحت التنفيذ ٠٠ وكثير من هذا الباقى تم التعاقد عليه ٠

ولقد كانت قيمة الانتاج الصناعى سنة ١٩٥٢ فى مصر ٣١٣ مليون جنيه ووصلت قيمة الانتاج الصناعى سنة ١٩٦٠ الى ٦٩٣ مليون جنيه وتصل هذا العام الى ٧٢٠ مليون جنيه ٠

الانتاج الصناعى

وأنا هنا أيها الاخوة أتكلم عن الانتاج الصناعى البحت لا أدخل فيه مثلا عمليات حلج القطن ولا أعمال المخابز وغيرها من العمليات المشابهة لها واذا أخذت البترول مثلا سنة ١٩٥٢ فلقد كان انتاجنا منه مليونى جنيه و ٣٧٠ ألف طن وهذا العام وصل انتاج البترول

عندنا الى أربعة ملايين من الأطنان ٠ واذا أخذت الغزل والنسيج فلقد كان انتاجنا منهما سنة ١٩٥٢ هو ٥٥ ألفا و ٧٠٠ طن ووصل هذا العام الى ١١٥ ألف طن وكانت طاقتها الكهربية قيمتها ٦٩٢ مليون كيلووات ساعة سنة ١٩٥٢ ٠

وفى هذا العام أصبحت طاقتنا الكهربية ٤٨٠٠ مليـــــون كيلووات ساعة أى بزيادة قدرها ٤٤٨ فى المائة يدخل فى هــــذا بالطبع مشروع كهربة خزان أسوان الذى تم تنفيذه وانتهى ولا تدخل فيه بالطبع كهربا السد العالى التى ستحدث ثورة صناعية فى وطننا ٠

ولعل أبرز الظواهر فى الانتاج الصناعى هى اتجـــــاهه الى الارتفاع السريع واستجابة الانتاج فيه ـ بطبيعته ـ للعمل المنظم والتخطيط الدقيق ٠

ولكى أشرح ذلك فانه فى سنة واحدة ما بين سنة ١٩٥٩ وسنة ١٩٦٠ زاد الانتاج فى الغزل والنسيج وحدهما بما قيمته ٤٧ مليون جنيه وما بين سنة ١٩٦٠ الى عام ١٩٦١ زاد انتاجنا من السماد بما يصل الى ٣٠٠ ألف طن ٠

فاذا أضفت الى ذلك ما استجد من أنواع الانتاج الصـــــناعى وبخاصة فى الصناعة الثقيلة كصناعات الحديد والصلب ومحركات الديزل وعربات السكك الحديدية وســـيارات اللورى والاتوبيس والركوب كذلك ما استجـــــد من الصناعات الخفيفة مثل صناعات الدراجات والسخانات والبوتاجاز والأفران والثلاجات الكهربيـــــة والكابلات وأدوات الكهربا بأنواعها المختلفة والخـــــزف والصينى والصناعات الغذائية ـ اكتملت ملامح صورة تبشر بالأمل فى تقدم صناعى واسع الخطى ٠

كهربة خزان أسوان

ثم أقول كلمة سريعة فى ذلك الشأن :

فى سنة ١٩٥٢ كانت كهربة خزان أسوان تبدو حلمــــــا صعب التحقيق ٠٠ وكهربة خزان أسوان الآن أمر واقع ٠

وفى سنة ١٩٥٢ لم يكن السـد العالى على فكر أى منا على الاطلاق كان سرابا بعيدا يلوح فى صحراء الوهم ..

وفى هذا العام يجرى العمل بكل قوة فى هذا المشروع الذى يعتبر من أعظم المشروعات الانتاجية فى العالم كله والذى تزيد تكاليفه عن ٣٠٠ مليون جنيه .

هذا تقدير سريع لآمالنا ولقدرتنا على تحقيقها .

زيادة دخل الفـرد

أيها المواطنون :

ان ذلك كله كان لابد من وضعه فى اطار شامل يحقق التنمية. لهذا تم وضع خطة مضاعفة الدخل القومى فى عشر سنوات وتستهدف هذه الخطة بالنسبة لمصر توجيه استثمارات قدرها ١٦٩٧ مليونا من الجنيهات ، فى السنوات الخمس الأولى منها يزيد الدخل القومى فيها بما متوسطه ١٠٣ ملايين جنيه فى السنة ليتضاعف تماما فى نهاية الخطة وليصبح متوسط دخل الفرد الذى كان يقدر بحوالى ٣٠ جنيها فى السنة والذى هو الآن ٥٢ جنيها فى السنة ليصل الى ما يزيد على ٨٠ جنيها فى السنة مع اعتبار الزيادة فى عدد السكان .

الاسراع بالتنمية

ولست أخفى عليكم الان .. أنه بات محتما أن نسرع خطانا على طريقة التنمية بأكثر من هذا القدر .. ولقد طلبت الى الأجهزة المسئولة عن التنمية أن تدرس امكانية مضاعفة الدخل القومى فى أقل من عشر سنوات ولابد لنا أن نسير وأن نبنى .

وما من جدال فى أن الاطار الاشتراكى للمجتمع الان يساعدنا على دفع عجلة الانتاج بسرعة أكثر مما قدرنا ونحن نضع الخطة

لقد أصبح لدينا الان قطاع عام فى الاقتصاد قوى يملكه الشعب

بمجموعه وهو فوق أثره الاجتماعى طليعة قادرة على فتح الطريق أمام التنمية الاقتصادية فى جميع المجالات ..

اننا لنفخر أن النواة الاولى لهـــذا القطاع العام كانت جميع المؤسسات الاحتكارية البريطانية والفرنسية والبلجيكية .. ثم أضفنا الى هذا القطاع ماقمنا نحن بانشائه طبقا لبرامج التنمية خلال السنين الأخيرة ، ثم استكمل هذا القطاع قوته بمانم تأميمه أخيرا بمقتضى مجموعة القوانين الاشتراكية التى صدرت فى شهر يوليو من هذا العام (١٩٦١)

وبهذا أصبحت القوة العاملة لهذا القطاع تمثل رأس مال لايقل عن ألف مليون جنيه فى حين أن الطاقة المتحركة لرأس مال هذا القطاع تزيد عن هذا المبلغ عدة مرات بقوة اندفاع متزايدة قادرة على تحريك عجلات التطوير فى الزراعة وفى الصناعة بوجه خاص .

دور القوانين الاشتراكية

فى تدعيم القوة الذاتية للجمهورية العربية

ويستطرد الرئيس فى بيانه التاريخى فيقول :

ثم كانت الاجراءات الحاسمة فى يوليو سنة ١٩٦١ بصـــدور مجموعة القوانين الاشتراكية التى أعطت الطبقات العاملة موضع قوة تستطيع منه استخلاص حقوقها .

اولا : حددنا ملكية الأرض بما لايزيد على مائة فدان ولاتزيد حيازة المستأجر على خمسين فدانا .. وهذا قـدر كاف يحفظ حق الملكية الفردية ولكنه يدفع شرور احتكار الارض ويفتح الفرصة فيها أمام عدد جديد من الاجراء ليتمتعوا بنعمة الملكية ، هذا الى جانب مايمكن أن يوفره اصلاح الاراضى الجديدة .. عن طريق العمل من أجل الكفاية من فرص لتوسيع قاعدة الملكية من تدعيمها بالتعاون الزراعى .

ثانيا : أممنا ملكية الصـــناعات الثقيلة لتكون كلها وليكون التوسع الجديد فيها ملكا للشعب ٠

وكذلك فعلنا بالنسبة للاستيراد والتصدير لكيلا يكون الانتاج الوطنى ألعوبة في يد المضاربات الفردية التى لا تسعى لغير زيادة أرباحها على حساب المجموع واختزان أموالها مهربة فى البنـــوك الاجنبية ٠

وكذلك فعلنا بالبنوك ليكون المال خادما لمصالح الشعب لاسيدا لها.

وبالنسبة للصناعات المتوسطة حولنا ملكية النصف فى بعضها الى الشعب وفى البعض الاخر حددنا أقصى مايملكه أى فرد فيها بعشرة آلاف جنيه ٠

وبالنسبة للمهن والحرف وبالنسبة للصناعات الخفيفة وبالنسبة لاعمال التجارة الداخلية ٠٠ وبالنسبة لهذه الاعمال كلها وغيرها وهى جميعا مما لايمكن معه ايجاد قوة قادرة على الاستغلال والاحتكار ـ فلقد تركنا المجال حرا لاقيد عليه ٠

ثالثا : بالنسبة للعمال فلقد كان لابد من تكريم الطبقة العاملة ووضعها فى مكانها الحقيقى الذى تستطيع منه متمتعة بكل حقوقها أن تؤدى دورها العظيم فى عملية التصدير ٠

لذلك تقرر أن يدخل العمال والموظفون فى كل منشـــأة الى مجلس ادارتها عن طريق عضوين يجرى انتخابهما بالاقتراع السرى العام على ألا يزيد عدد أعضاء مجلس الادارة على سبعة لتكون قوة العمال فيه فعالة ومؤثرة ٠

كذلك تقرر أن يكون لهؤلاء العمال والموظفين بنص القانون حق فى أرباح منشآتهم تحدد بربع هذه الأرباح ٠

وبذلك لم تهدر الملكية الفردية وانما اتسع نطاقها ٠

ولم تعد الملكية هى حق رأس المال وحده انما الملكية أصبحت حق العمل الى جانب حق رأس المال ٠

رابعا : جرت المحاوله لوضع حدود للدخول العليا حتى نتمكن من أن نضع حدا ادنى لدخل كل مواطن يستطيع به ان يؤمن حقه في الكرامة الانسانية :

اصبحت المرتبات في المؤسسات محدوده بما لايزيد على خمسه آلاف جنيه في السنة ، ولقد كان هناك من تصل دخولهم الى خمسمائه ألف جنيه في السنة ٠

وارتفعت شرائح الضرائب التصاعديه حتى تصل الى ٩٠٪ بعد أن يصل الدخل الى عشرة آلاف جنيه في السنه عن طريق المرتبات أو مصادر الدخل الاخرى ٠٠ وهذا حق يسلم به العالم المتحضر كله٠

وبصرف النظر عن أى اعتبار آخر فليس من المتصور فيما يتعلق بوطننا أن شريعة اللهشريعة العدل ترضى أن يحصل على خمسمائه ألف جنيه في السنه على حين أن متوسط الدخل العام في الوطن كله للفرد لايزيد الا قليلا عن خمسين جنيها في السنه ٠

ومن بيان الرئيس جمال عبد الناصر لشعب الجمهوريه العربيه المتحدة في ١٦ من اكتوبر ١٩٦١ وتصويره لامالنا وقدرتنا الحقيقيه على تحقيقها ٠٠ ثم صدور التشريعات الاشتراكية في يوليو ١٩٦١ يتضح لنا أن صدور هذه القوانين الاشتراكية كان بمثابة ثورة حقيقية واقعة استهدفت احداث تغييرات ثورية جذرية في المجتمع العربى من أجل اقامة مجتمعنا الجـــــديد ٠٠ المجتمع الاشتراكى الديمقراطى التعاونى الذى يقوم على دعامتين من وفرة الانتـــــاج وعدالة التوزيع ٠

فمن أجل تحرير العامل من عبودية الآلة

ومن أجل تحرير الفلاح من اقطاعية الأرض

ومن أجل تحرير الوطن والمواطن العربى سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وانسانيا صدرت القوانين الثورية الاشتراكية ٠

وأكثر من هذا ٠٠ كان صدور هذه القوانين الاشتراكية انما هو تحقيق لشريعة العدل التى ماهى الا شريعة الله التى لاتسمح بأن تكون الأرض الزراعية في وطننا ٠٠ ملكا وحكرا للقلة دون الكثرة ٠٠

ولم تكن شريعة العدل شريعة الله تسمح للقلة من أبناء الوطن أن تحتكر ثروات ومقدرات الوطن وحدها

ولم تكن شريعة العدل شريعة الله تسمح أن يكون الغنى أو الفقر أو المرض أو العلم أو الجهل أو الكرامة الانسانية أو الذل الانسانى ارثا ٠

ومن هنا كانت الاجراءات الاشتراكية التى صدرت فى يوليو ثورة انسانية اجتماعية قامت على أساسين :

أساس وطنى يستلهم احتياجات ومطالب جماهير الشعب الكادحة ويستمد من أعماق هذه الجماهير قوة القانون ٠

أساس انسانى ينبع من الواقع الانسانى للقومية العربية والثورة العربية حيث لايرضى بالمصادرة وانما يضمن للمجموع حقه مقابل تعويض عادل ٠

وأخيرا فان القوانين الاشتراكية باستهدافها تحرير الوطن وتحرير المواطن اجتماعيا واقتصاديا وانسانيا انما هى فى الوقت نفسه تدعيم لبناء قوتنا الذاتية هنا فى الجمهورية العربية المتحدة ٠٠ ومن ثم للامة العربية ٠

ثورة ١٩٥٢ فى عامها العاشر

استعرضت فيما سبق أزهى جوانب ثورة ١٩٥٢ ٠

وهاهى ذى ثورة ١٩٥٢ فى عامها العاشر ومازالت فى قمة اندفاعها الثورى المقتحم النشيط ٠٠ ومازال العمل الثورى العربى والمد الثورى العربى متمثلين ومتجسدين فى الجمهورية العربية المتحدة يسيران فى طريق الزحف الثورى نحو الامل الثورى المنشود ، والحرية الشاملة ٠٠ حرية الارض العربية وحرية الانسان العربى صاحب هذه الارض وسيدها ٠

ولقد شاء القدر أن يلبس الجمهورية العربية المتحدة ثوب

الطليعة القيادية التحررية الثورية على الصعيد العربى ـ لا لمجرد مصادفة وقعت اعتباطا أو مجرد ظروف عشوائية أو سطحية طارئه، ولكن ظروف معركة النضال العربى هى التى ألقت بهذه المسئوليه على الجمهورية العربية المتحدة ·

« وان الظروف المحيطة بالنضال العربى كله أوضحت أمرين بارزين :

أولهما : ـ أنه لابد ان تكون لحركة القومية العربية قاعـــدة ثابته يستند عليها النضال الثورى الشعبى ويطمئن الى حمايتها له·

وآخرهما : ـ أنه لابد أن يكون لحركة القومية العربية مضمون اجتماعى وعقيدة واضحة للحركة نحو المثل العليـــا لكرامة المواطن العربى

وبحكم ظروف النضال العربى ذاته كانت المسئولية فى الامرين واقعة على الجمهورية العربية المتحدة ·· كان لابد لهـا أن تكـون القاعدة ··

وكان لابد لها أن تكون نموذج الحركة الاجتماعية نحـو المثل العليا · (١)

فالجمهورية العربية المتحدة هى طليعة الدفع الثورى العربى وقلعة النضال العربى التحررى وقاعدته وينبوع التيار الهـــادف للوحدةالعربية الشاملة والمثل العليا للقوة الذاتية العربية وذلك بحكم ماتمثله من الطاقات الثورية والطاقات النضالية المادية والمعنويه وبحكم ما ألقته عليها ظروف معركة النضال العربى ·

يقول الرئيس :

« ان الطليعة ليست زعامة وتقدما وانما دور الطليعة ارتياد للمجهول ومواجهة للخطر ·· ولذلك فالقاعدة ليست سيطرة وانما القاعدة خدمة »

---

(١) من مقال «هل توقف اندفاع القومية العربية ؟ للاستاذ هيكل بجريدة الاهرام »

والجمهورية العربية المتحدة كطليعة وقاعدة للنضـــال العربى التحررى هى السند الأول لمساندة استقلال كل بلد عربى ٠٠ حيث يقول الرئيس ٠٠

« لقد ساندنا استقلال كل بلد عربى ووضعنا حريتنا فى الميزان تدعيما لحريته وجعلنا خبرتنا العلمية وامكانياتنا الاقتصـــادية والسياسية رهن اشارته »

والجمهورية العربية المتحدة تتحمل القسط الاكبر من مسئوليات النضال الشعبى العربى فى الجزائر وتونس والجنوب العربى وعلى الجمهورية العربية المتحدة تقع اليوم المسئولية الكبرى تجاه عروبه فلسطين واعادة الارض العربية لاصحابها وتصفية القاعدةالاستعمارية « اسرائيل» وذلك يتطلب منا كما يقول الرئيس : « قوة عربية ذاتية شاملة » ٠ ذلك لان هذه المشكلة تتصل اتصالا وثيقا بأوضـــاعنا الداخلية لانها ترتبط ارتباطا لا انفصال فيه مـــع قوتنا الذاتية الشاملة ٠

اذن فالجمهورية العربية انما تدرك تمام الادراك وتعى تمـــام الوعى ان القوة الذاتية الشاملة للامة العربية هى الهـــدف والامل الثورى المنشود للامة العربية لمجابهة كل مايعترضها ويعرقلها من جميع التحديات التى تحول دون بلوغ الامة العربية أملها المنشود ٠

المبحث الثالث

البترول العربى

والقوة الذاتية العربية الشـــاملة

حينما حاول الرئيس جمال عبد الناصر أن يحلل عناصر قوتنا فى كتابه « فلسفة الثورة » أبرز ثلاثة مصادر من مصادرها يجب أن نكون أول مايدخل فى الحسبان ٠٠ ولقد كان البترول هو ثالث هذه العناصر البارزة من عناصر قوتنا ٠

ويقول الرئيس : ان البترول ٠٠ يعتبر عصب الحضارة المادية والذى بدونه تستحيل كل أدواتها ، المصانع الهائلة الكبيرة لانواع الانتاج وكافة وسائل المواصلات فى البر والبحر والجو وأسلحة الحرب سواء فى ذلك الطائرات المحلقة فوق الضباب أو الغواصة المستترة تحت أطباق الموج ـ تســتحيل كلها قطعا من الحديد يعلوها الصـــدأ لا تنبعث منها حركة أو حياة ٠

« وبودى لو وقفت قليلا عند البترول فلعل وجوده كحقيقة مادية تقررها الاحصائيات والأرقام يصلح ليكون نموذجا للمناقشة فى أهمية مصادر القوة الذاتية » ٠

« ولقد قرأت أخيرا رسالة طبعتها جامعة شيكاجو عن ظروف البترول وبودى لو كان لكل فرد من أفراد شعوبنا أن يقرأها ويتدبر معانيهـــا ويسرح بفكره فى المعنى الكبير الكامن وراء أرقامهـــا واحصائياتها٠٠ تقرر هذه الرسالة مثلا أن العمل لإستخراج بترول البلاد العربية لا يتكلف كثيرا من المال ٠

« ولقـــد أنفقت شركات البترول ٦٠ مليونا من الدولارات فى كولومبيا ابتداء من عام ١٨١٦ ولم تعثر على قطرة زيت الا فى سنة ١٩٣٦ ٠٠ »

« وأنفقت هذه الشركات ٤٤ مليونا من الدولارات فى فنزويلا ولم تحصل على قطرة من الزيت الا بعد مرور ١٥ سنة ٠

« وأنفقت هذه الشركات ٣٩ مليونا من الدولارات فى جزر الهند الهولندية وأخيرا عثرت على الزيت ٠

«وكانت النتيجة الأخيرة التى قررتها هذه الرسالة فى هذا الموضوع أن رأس المال المطلوب لاستخراج برميل من الزيت فى أمريكا ٧٨ سنتا ٠

وأن رأس المال المطلوب لاستخراج برميل من الزيت فى أمريكا الجنوبية ٤٣ سنتا ٠

وأن رأس المال المطلوب لاستخراج برميل من الزيت فى البلاد العربية ١٠ سنتات ٠

« ان عاصمة انتاج البترول فى العالم قد انتقلت من الولايات المتحدة التى أستنزفت آبارها وارتفع سعر الارض فيها وزادت أجور الايدى العاملة لابنائها ٠٠ الى المنطقة العربية التى مازالت آبارها بكرا والتى ما زالت أراضيها الواسعة الشاسعة الاطراف بلا ثمن وما زالت يدها العاملة تقبل ما دون الكفاف ٠

« ولقد ثبت ان نصف الاحتياطى المحقق من البترول فى العالم يرقد تحت أرض المنطقة العربية والنصف الآخر موزع بين الولايات المتحدة وروسيا ومنطقة الكاريبى وغيرها من بلاد العالم ٠

« وثبت أيضا أن متوسط انتاج البئر الواحده فى اليوم من الزيت :

« ١١ برميل فى الولايات المتحدة »
٢٣٠ برميل فى فنزويلا ٠
٤٠٠٠ برميل فى المنطقة العربية ٠

« هل أوضحت مدى أهمية هذا العنصر من عناصر القوة ؟
أرجو أن أكون قد وفقت ٠٠ »
وبعد ٠٠٠ فلنا أن نتساءل ٠

ماذا قدم البترول العربي ـ وهو أحد المصادر البارزة لقوتنا المادية والمعنوية للأمة العربية ؟ وما دوره في معركة تحقيق القوة الذاتية للأمة العربية ؟

البترول العربى ٠٠ الذى ينبع من أعماق الارض العربية ٠ التى تمن على الامة العربية بثروات ومـــواد طبيعية لاتظفر بمثلها أمة أخرى ٠

هذا البترول العربى ٠٠ هل هو ملك للعرب وللعروبة أو ملك للاحتكارات الامبريالية فى عقر دار العرب ؟

البترول العربى هو الرئة التى تتنفس بها اقتصاديات أوروبا وأمريكا واكسير الحياة الصناعية والتجارية ومصدر الثراء والقـوة المادية والمعنوية والمنقذ الاول للعجز فى الميزان التجـــارى لدولة أوروبية مثل فرنسا ، هذا البترول العربى ماذا قدم للاقتصاد العربى المتخلف وما دوره الحقيقى فى التنمية الاقتصادية العربية ؟

البترول العربى ٠٠ الورقة الرابحة على مائدة الصراع العالمى ٠٠ وعلى موائد المخططات الاستعمارية وسيد الموقف فى معركة الصراع العالمى الاستعمارى بين الكتلتين الشرقية والغربية من جهة ٠٠ وبين دول الكتلة الغربية من جهة أخرى ٠٠ ومن ثم كان من الضرورى زرع القواعد البحرية والحربية الاجنبية فى الوطن العربى لحماية المصالح الاحتكارية الامبرياليـــة للبترول مثـل قاعدة الظهران لحماية آبار القطيف والدمام ومثـل قاعدتى البصرة والحبانية فى العراق لحماية بترول كركوك والموصل ٠ وأيضا لعل مافى حوادث السنوات القليلة الماضية فى العراق تؤكد مدى الصراع العالمى على بترول العراق من تكون حلف بغداد (الحلف المركزى) لتمويل حلف الاطلنطى بما يلزمه من البترول ٠

ثم قيام ثورة ١٤ من تموز عام١٩٥٨ ونشوب الصراع الاستعمارى وظهور أطماع الشيوعية المحلية ومخططاتها من محاولة تحطيم حلف الاطلنطى ٠٠ الى محاولة الاستيلاء على السلطة والحكم وانهاء الاحتكار الاوروبى للبترول العراقى الى محاولة تدريب الاكراد للقيام بثورات

ضد الحكم القائم .. الى . الخ .. أقول ما أثر هذا الصراع العالمى على الاستقرار السياسى للوطن العربى وعلى حرية هذا الوطن ؟

البترول العربى .. تلك الطاقة أو الذخيرة المادية التى وهبها الله للأمة العربية .. كيف تستغل هذه الطاقة ؟ ولمصلحة من ؟ وهل تحملت مسئوليتها فى بناء القوة المادية والمعنوية للقومية العربية .

عائدات البترول العربى .. أين تذهب ؟ وأين تبعثر ؟ ومادورها الحقيقى فى توفير وبناء القوة العربية الذاتية الشاملة للامة العربية ؟

أسئلة..وأسئلة أخرى كثيرة تتراقص أمامها علامات الاستفهام ويكتنفها ضباب من الغيوم .!

انها أسئلة حائرة فى قلب كل عربى.. تنتهى بعلامات استفهام وعلامات تعجب ..

أما آن لأحد أن يجيب عنها ؟

ولكنى أبادر فأقول .. ان الاجابة عن هذه الاسئلة ليست ملك أمراء ومشايخ البترول .. وليست ملك الحكومات الرجعية العميلة للاستعمار .. وكذلك ليست ملكا للشركات الامبريالية الاحتكارية التى تحتكر وتستغل البترول العربى .

أن الاجابة عن هـــذه الاسئلة هى ملك الارادة الخالصة لجماهير شعبنا العربى من الخليج الى المحيط .

جماهير شعبنا التى اذا ما استجمعت ارادتها واذا ما استوحت ضميرها استطاعت أن تتحدى جبروت الاستعمار فهى قادرة على أن تعيد كتابة تاريخها قادرة على أن تعيد الحق الى نصابه .. والبترول الى أصحابه والحق لايصير باطلا مهما طال عليه الأمد وبترول العرب للعرب .

أهمية البترول العربى

ويمكننا أن نلخص أهمية البترول العربى فى النقاط الآتية :

١ ـ آبار البترول العربى يحتوى جوفهـــا على ٧٠ ٪ من احتياطى البترول العالمى .

٢ ـ يمتاز البترول العربى بارتفاع انتاج آباره ويمتاز أيضا من حيث نسبة المصفى وغزارة الانتاج وقلة تكاليف الاستخراج ورخص الايدى العاملة ٠

٣ ـ ضآلة الحصص التى تؤديها الشركات الاجنبية الى حكومات البلاد العربية صاحبة مناطق النفوذ ٠

٤ ـ قرب مناطق البترول العربى من أسواق الاستهلاك وسهولة مد الانابيب عبر الاراضى العربية المنبسطة ٠ الخ

من أجل هـذه الميزات والمميزات للبترول العربى وغيرها كان البترول العربى هدفا للصراع الاحتكارى والاستعمارى ٠

فالبترول العربى الآن فى معظم البلاد العربية يئن تحت وطأة الاحتكار الامبريالى الذى يقترن بأبشع وسائل الاستغلال والاحتكار والعلاقة وثيقة بين الاحتكار والاستعمار٠٠ فالاحتكار هو أعلى مراحل الاستعمار ٠٠ وهما صنوان متلازمان متكاملان ٠٠

وليس هنا مجال سرد مراحـــل الصراع الامبريالى الاحتكارى الذى خاضته الاحتكارات الانجليزية والامريكية وغيرها عن طريق المؤمرات والمخططات الاستعمارية الهادفة لاستغلال واحتكار مـوارد وثروات ومقدرات الوطن العربى وخصة الثروة البترولية ٠٠

وانما نقصد هنا تبيان حقيقـة الاستغلال والاحتكار الامبريالى للبترول العربى ويكفى هنا أن نعرف أن نصيب شركات البتـرول الامريكية فى بترول الشرق الاوسط العربى فى عام ١٩٥٧ قد بلغ ٩٠٢١٧ من جملة الكميه الناتجة ٠

وزيادة على ذلك فان شركات البترول الامريكية هى المالكـــة الوحيدة لآبار البترول فى السعودية ذات الانتاج الغزير فاذا أضفنا الى ذلك حصة الشركات الامريكية فى شركة بترول العراق والشركات الغربية التابعة لها فى بعض بلاد المنطقة بان لنا كيف أن الشركات الامريكية تسيطر وحدها على نسبة هائلة من بترول الشرق العربى بلغت فى بعض الاحصاءات ٤ر٦٢٪

وبصفة عامة فان البترول العربى يضمن لاوروبا رخاءها الحقيقى فان ٨٠٪ من قوتها المحركة كلها مستمدة منه ٠

ولقد استطاعت الدول والشركات الامبريالية أن نفوز بالثروة البترولية العربية وتحتكرها عن طريق عقود الامتياز بينها وبين حكام البلاد العربية الذين وقعوا تحت ضغط النفوذ الدولى للدول المحتكرة من جهة وتحت ضغط الثروة المفاجئة التى هبطت عليهم مرة واحدة من جهة أخرى ٠٠

ومن هنا فان عقود الامتياز هـــذه قامت على الضغط والاكراه وتنطوى على الغبن والاجحاف لحقوق الدول المنتجـــة وكانت نتيجة مباشرة للمؤامرات الاستعمارية والتكتلات الاحتكارية وعوامل البسطو والسيطرة والارهاب ٠

أكثر من هذا ٠٠ فانه وفقـــا للتقرير الذى وضعته اللجنـــه الاقتصادية لاوروبا التابعة للامم المتحدة بلغ صـــافى أرباح شركات البترول فى منطقة الشرق الاوسط من مبيعاتها للدول الغربية فقط ٨٠٪ من قيمة هذه المبيعات ٠٠ وأن صافى أرباح الشركات الامريكية من هذه المبيعات الى منظمة التعاون الاقتصادى الاوروبى ســـتكون خلال الفترة من عام ١٩٦٠ الى عام ١٩٧٥ ما يبلغ ٥٦٢ ـ ١٢٠٤ ملايين من الدولارات سنويا بعد دفع الاتاوات ٠

ومع كل هذا لم يسلم البترول العربى من المؤامرات والمخططات الاستعمارية مثل محاولة تطبيق سياسة الاغراق المترتبة على وجـــود فائض من انتاج البترول يفوق حاجة الاستهلاك مما يترتب عليه خفض الاسعار ومن ثم يتأثر مستقبل الدول المصدرة للبترول ٠

هذه نظرة سريعة لحقيقة الاحتكار والاستغلال الامبريالى للبترول العربى ٠٠ ان دلت على شىء فانما تدل على أن البترول العربى ليس ملكا للعرب وانما هو يئن تحت وطأة الاحتكار والاستغلال الامبريالى ولم يبدأ بعد البترول العربى فى تحمل مسئوليته ودوره فى معركة البناء والتعمير من أجل توفير القوة الذاتية للامة العربية ٠

فاذا كانت الجمهورية العربية المتحدة بحكم طاقاتها الثـــورية

وطاقاتها النضالية المادية والمعنوية قد استطاعت أن توفر لنفسها كل احتياجاتها من الاستثمارات التي تتطلبها الثورة الاجتماعية من أجل بناء قوتها الذاتية في ظل المجتمع الاشتراكي الديمقراطي التعاوني الذي يقوم على دعامتين من وفرة الانتاج وعدالة التوزيع . فان بلادا عربية كثيرة أخرى بعضها يتفجر في أرضه البترول مازالت تئن تحت وطأة الحاجة الماسة الى استكمال احتياجاتها من أجل تغيير وتنمية اقتصادها الاستاتيكي المتخلف وصناعاتها اليدوية البدائية وتجاربها الكاسدة ، وميزانها التجاري الذي يشكو العجز المستمر .

هذا الى جانب ان الانسان العربي في تلك البلاد يعاني الفقر المادي والحرمان من الحرية السياسية والاجتماعية ..

أقول : ان الجمهورية العربية المتحدة في سعيها الى قوة عربية ذاتية كانت في حاجة الى استثمارات ضخمة من أجل عملية التنمية الاقتصادية من أجل بناء اقتصاد قومي متين .. وكان في وسع جمهوريتنا أن تطلب من أمراء البترول ومشايخه توجيه بعض أموالهم المكدسة في خزائن البنوك والشركات والمؤسسات والشركات الاجنبية الى الاستثمار هنا في الجمهورية العربية المتحدة .

ولكن جمهوريتنا - وكانت صاحبة الحق في ذلك - أبت ذلك ولم تطلب .. وذهبت الى طلب القروض والتسهيلات الائتمانية في كل عواصم العالم .. وأكثر من هذا فقد أعلنت جمهوريتنا تأميم شركة قناة السويس عام ١٩٥٦ من أجل توجيه دخلها السنوي الذي بلغ حوالى خمسين مليونا من الجنيهات الى مشروعات التصنيع والتطوير وأخيرا أصدرت القوانين الاشتراكية في يوليو ١٩٦١

وكانت بمثابة ثورة بناءة من أجل بناء مجتمعنا الجديد .. المجتمع الاشتراكي الديمقراطي التعاوني .

ولكن ما مصير البلاد العربية التي ما زالت تئن تحت وطأة الاحتكار والاقطاع والرجعية .. والتخلف الاقتصادي والاجتماعي

ما دور البترول العربي .. وعائداته في تبديل وتغيير هذه الحياة السائدة في مجتمعات البلاد العربية والتي ما هي الا صورة لمجتمعات شبه بدائية ؟

نظرة سريعة بالارقام لتظهر المشكلة على حقيقتها (١) ٠

١ ـ تحصل العـــــراق من دخل البترول عـــلى ٣٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار سنويا ٠

٢ ـ تحصل الكويت من دخـــــل البترول على ٥٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار سنويا ٠

٣ ـ تحصـــــل السعوديه من دخل البترول على ٣٥٠ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار سنويا ٠

٤ ـ تحصـــــل قطر من دخـل البترول على ١٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار سنويا ٠

« ومعنى ذلك ٠٠ دون حساب بترول البحرين لانه قليل ودون حساب بترول ليبيا لان أرقامه لم تتضح بعد ـ ان أربعة من البلاد العربية تحصل سنويا على ١ر٢٥٠ر٠٠٠ر٠٠٠ مليون دولار سنويا ـ أى ما يقرب من خمسمائة مليون من الجنيهات الاسترلينية سنويا

أين تذهب هذه المبالغ الخيالية كل سنة ؟ ٠ ومادورها الحقيقى فى توفير القوة الذاتية العربية حتى داخل حدود بلادها ٠٠ داخـــل العراق ، وداخل الكويت ، وداخل السعودية ، وداخل قطر ؟

ولو حسبنا المدارس والمستشفيات والمصانع والحقول الجديدة والاستثمارات الحقيقية البناءة التى استطاعت عائدات البتـــرول العربى أن تضفيها الى القوة الذاتية لهالتنا النتيجة ٠

ومن هنا ٠٠٠ فان البترول العربى وعائداته مازالت تبعثـــر هباء ومازالت تئن تحت وطأة الاحتكار الامبريالى من أجل بناء القوة الذاتية للدول الاوربية الاستعمارية ٠٠ لابناء القوة الذاتية للدول العربية صاحبة الحق الاول للبترول الذى ينبع من أرضها الطيبة ٠

ولقد ارتفعت الصيحات بضرورة وضع حد للسيطرة الاحتكارية

---

(١) من مقال الاستاذ حسنين هيكل ـ الاهرام فى ١٩ من مايو ١٩٦١

الامبريالية على البترول العـــــربى وتخليص عقود بعض المشروعات وانعقدت المؤتمرات البترولية وكان من أهم هذه المشروعـــــات والمؤتمرات ما يلى :

١ ــ قرار المجلس الاقتصادى للجامعة العربية فى ٢٨ من مايو ١٩٥٧ خلال دورته الرابعة وأهم نقاطه :

(ا) العمل على تعريب صناعة البترول ·
(ب) المطالبة بحصة أكبر فى الارباح ·
(جـ) تكرير البترول الخام فى نفس أماكن استخراجه نفسها ·
(د) انشاء أسطول من الناقلات العربية وانشاء شركة عربية لتسويق البترول وتوزيعه ·

٢ ــ المؤتمرات البترولية حيث انعقد المؤتمر البترولى الأول فى القاهرة عام ١٩٥٩ وانعقد المؤتمر البترولى الثانى فى بيروت عـــام ١٩٦٠ وانعقد المؤتمر البترولى الثالث فى الاسكندرية عام ١٩٦١ ·

هذه المؤتمرات أصبحت شديدة الأهمية بالنسبة لكل ما يتعلق بمستقبل البترول العربى ··· من كشف الى استثمار الى تصنيع وتجارة فتطوير ، فضلا عن الدور الذى تؤديه هـــذه المؤتمرات فى اقامة دعائم التعـــاون بين شركات البترول والبلدان المنتجة وبلدان المرور ··· وتبادل الآراء القيمة الواعية حتى تنمو وتزدهر الصناعة البترولية العربية ويزداد تطورها ويتنوع حتى تصبح أداة أكثر فاعلية وتنظيما فى انماء وتعزيز الاقتصاد العربى والاقتصاد العالمى ··

٣ ــ ظهور بعض المشروعات العربية التى تنادى بانفاق بعض أرباح البترول العربى على المشروعات الائتمانية فى الدول العربيـــة وذلك كمشروع السيد اميل السيناتى الذى قدمه الى مؤتمر البترول العربى الأول فى القاهرة ·

وأخيرا ··· فاننا ننظر بملء الثقة والطمأنينة الى مستقبل البترول العربى فلقد آن الأوان للثروة البترولية أن تساهم وتشارك وتصمد مع الجمهورية العربية المتحدة فى معركة المصير العربى من أجل بناء القوة العربية الذاتية الشاملة القادرة على انتزاع النصر أمام جميع أنواع التحديات الناجمة من مجابهة المشكلات والاخطار ·

خاتمـــة

الأمة العربية قوة ذاتية غالبه

والأمة العربية قوة ذاتية صامدة

فالامة العربية قوة ذاتية غالبـــة ابان النشأة والظهور وفى فترات ازدهارها ووحدتها وتماسك بنيانها ·

والامة العربية قوة ذاتية صامدة ·· بالرغم من تغلب موجات الجزر العنيد على موجات المد الضئيل · فلقد صمدت هذه الامـــة أمام التيارات الغازيه والمخاطر المتعاقبة والحركات المعادية للعروبة·· وأمام المخططات الاستعمارية والنعرات الطائفية والمذهبية والاقليمية والرجعية ·· وأمام الخطوط والفواصل الوهمية والحواجز والكيانات السياسية المصطنعه فى الوطن العربى وأمـــام قوى التحديات على اختلاف أنواعها ومذاهبها ومشاربها ·

نعم : ـ لقد صمدت فى هذه الامة منارات مشعة وحصـــون وقلاع صامدة تغذيها أحاسيس وارادة مشتركة بالذاتية العربيـــة الحرة المستقلة تنادى الشعب العربى كلما سكن ، وتدفعه كلمـــا وقف ، وتوقظه كلما غفل ، وتذكره بتاريخه الحضارى ودوره القيادى الانسانى كلما بدا عليه أنه استسلم لقبضة النسيان ·

والجمهورية العربية المتحدة هى طليعة النضال العربى التحررى التقدمى وقاعدته ·· وتتمثل وتتجسد فيها القوة الذاتية العربيـــة المعاصرة ·

أعان الله الجمهورية العربية المتحدة وهى تسعى بكل طاقتهـــا الثورية وطاقاتها النضالية المادية والمعنوية ·· الى أن تكون المثـل الاعلى لما ينبغى أن يكون عليه الوطن العربى الحر والمواطن العـــربى الحر ··

تم بحمـــد الله

أهم مراجع البحث

١ ـ دراسات فى المجتمع العربى ·
للدكتور بطرس غالى وخيرى عيسى وعبد الملك عودة ·

٢ ـ محاضرات فى المجتمع العربى ·
للدكتور عز الدين فودة ·

٣ ـ مجموعة مقالات « بصراحة » بجريدة الاهرام ·
للأستاذ محمد حسنين هيكل ·

٤ ـ « اسرائيل » فكرة ـ حركة ـ دولة ·
للاستاذ هانىء والاستاذ محسن ابراهيم ·

٥ ـ أسرار الحركة الانفصالية فى سورية ·
للأستاذ أحمد مهابة ·

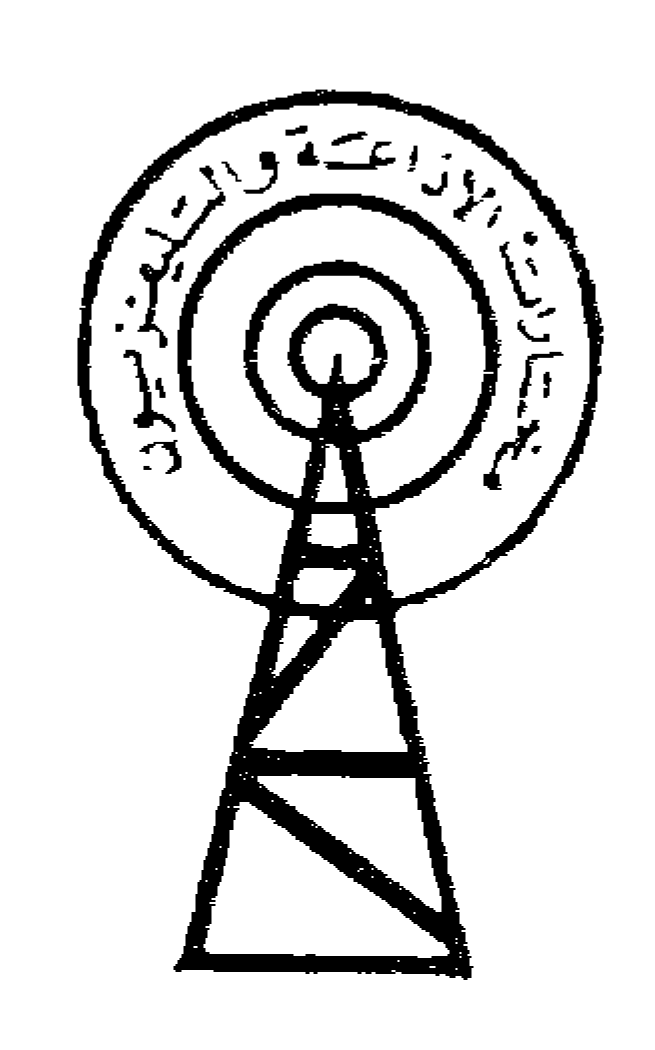
٦ ـ الشيوعية المحلية ومعركة العرب القومية ·
للأستاذ الحكم دروزة ·

٧ ـ منشورات جامعة الدول العربية ·

٨ ـ منشورات حركة القوميين العرب بلبنان ·

٩ ـ منشورات مصلحة الاستعلامات بالجمهورية العربية المتحدة ·

١٠ ـ مجلة العلوم السياسية تصدرها الجمعية المصرية للعلوم السياسية ·





١٥٧ شارع عبيد – روض الفرج

تليفون : ٤٠٥٨٨ – ٤٠٨١٤ – ٤٠٧٥٣ – ٤١٠١٢ – ٤٥٣٤٦

العدد ١٧٤ **الثمن ٣ قروش**
